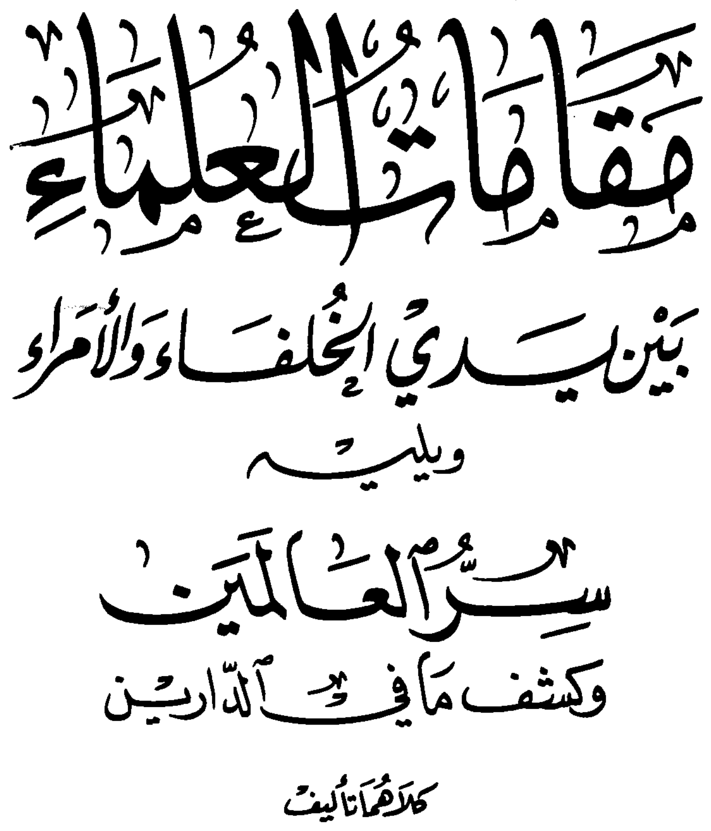


مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء

ويليه

سر العالمين وكشف ما في الدارين

كلاهما تأليف

حجة الإسلام الإمام العلامة أبي حامد محمد بن محمد الغزالي
المتوفى سنة ٥٠٥ هـ

تحقيق

محمد حسن محمد حسن إسماعيل
أحمد فريد المزيدي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



الطبعة الأولى
٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة المصنّف

هو الإمام العلّامة حجّة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الخراساني الغزالي.

وُلد سنة ٤٥٠ هـ بمدينة طوس من إقليم خُراسان، وكان والده يشتغل بغزل الصوف.

والغزالي من أعلام الفقه وعلم الكلام والأُصول والتصوف، وله باعٌ كبير في إثراء العلوم العقلية والشرعية.

من مصنفاته:

١ ـ إحياء علوم الدِّين ط كثيرًا.

٢ ـ المستصفى في أصول الفقه. بتحقيقنا ـ القاهرة.

٣ ـ المنخول في أصول الفقه. ط.

٤ ـ بداية الهداية في الخلافيات. ط.

٥ ـ المنقذ من الضلال. ط.

٦ ـ الاقتصاد في الاعتقاد. ط.

٧ ـ معيار النظر.

٨ ـ محكّ النظر.

٩ ـ مشكاة الأنوار. ط.

١٠ ـ تهافت الفلاسفة. ط.

١١ ـ مقاصد الفلاسفة ـ بتحقيقنا.

١٢ ـ إلجام العوام في علم الكلام ـ بتحقيقنا.

١٣ ـ جواهر القرآن.

١٤ ـ خواصّ القرآن ـ بتحقيقنا.

١٥ ـ فضائح الإمامية.

١٦ ـ كشف علوم الآخرة. ط.

١٧ ـ الوسيط في الفقه. ط.

١٨ ـ البسيط ـ مخطوط ـ يسّر الله لنا تحقيقه.

١٩ ـ الوجيز في الفقه. ط.

٢٠ ـ الخلاصة ـ ط ـ بتحقيقنا.

٢١ ـ الغاية القصوى ـ ط.

٢٢ ـ الفصول في الأسئلة والأجوبة ـ بتحقيقنا.

٢٣ ـ شفاء الغليل في بيان مسالك التعليل.

٢٤ ـ المآخذ، وتحصين المآخذ.

٢٥ ـ مقامات العلماء ـ كتابنا هذا.

٢٦ ـ الأربعون. ط.

٢٧ ـ رسالة في اسم الله الأعظم ـ بتحقيقنا ـ وغيره من المصنّفات النافعة.

وقد تُوفي حجّة الإسلام الغزالي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ بالطابران ودُفن بظاهر الطابران، وهي قصبة طوس.

وانظر ترجمته في: طبقات الشافعية لابن السبكي (٦/ ١٩١، ٣٨٩)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ١٧٣، ١٧٤)، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١٠/ ١٧٣)، والعبر للذهبي (٥/ ٢٠٣)، والمنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٦٨، ١٧٠)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٣٥٣، ٣٥٥)، والوافي بالوفيات (١/ ٢٧٤، ٢٧٧)، وطبقات الشافعية لابن كثير (٨٩/ ق ٢)، وابن هداية الله (ص ٦٩، ٧١)، ومرآة الزمان (٨/ ٣٩، ٤٠)، ومرآة الجنان (٣/ ١٧٧، ١٩٢)، ومفتاح السعادة لطاش زادة (٢/ ٣٣٢، ٣٥٠)، وشذرات الذهب (٤/ ١٠، ١٣)، وإتحاف السادة للزبيدي (١/ ٦، ٥٣)، والغزالي لأحمد فريد الرِّفاعي، والدكتور العلّامة الراحل عبد الرحمٰن بدوي، والأستاذ الكبير محمد البهي، وللدكتور الفاضل زكي مبارك.

منهج التحقيق ووصف النسخ

قد اعتمدنا في إخراج وتحقيق هذا الكتاب القيّم النافع على نسخة دار الكتب المصرية وهي نسخة خطّها جيّد جدًّا مقروء واضح، وبهامشها بعض التعليقات والحواشي، وعدد أوراقها ٣٣ ورقة ذات وجهين، كتبها: محمد شريف سليم سنة ١٣٠٠ هـ. ثم اعتمدنا أيضًا نسخة برلين، وخطّها جيّد أيضًا، وقد تم نسخها في يوم الخميس المبارك، سابع شهر محرم الحرام سنة تسع وخمسين وألف ١٠٥٩ هـ. وقد اعتمدنا مع النسختين الخطيتين، المطبوعة. وقمنا بضبط النص وما يلزم من وضوحه وتنسيقه، والتعليق على التراجم الواردة في الكتاب خاصة أصحاب المقامات من العلماء والنبلاء، وكذلك الخلفاء والأمراء. وتخريج الأحاديث النبوية، وعزو الآيات، والأبيات والشواهد الشعرية.

وآخرًا هذا جُهد المقلّ ومحاولة الاقتراب من الخير والصواب. ونسأل الله التوفيق والإخلاص والقبول والسّدَاد. وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المقرّبين وسلّم تسليمًا كثيرًا.

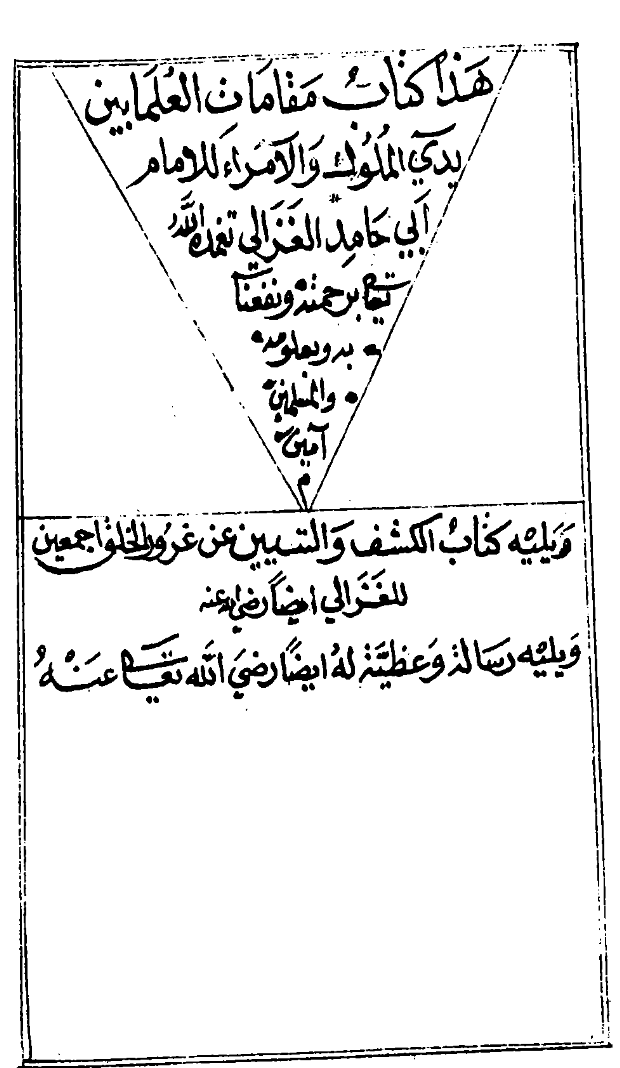
كتبه

أبو الحسن أحمد فريد المزيدي

أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل

حسين الظاهر بيبرس ـ القاهرة





هذا كتاب مقامات العلما بين
يدي الملوك والامراء للامام
ابي حامد الغزالي تغمده الله
تعالى برحمته ونفعنا
به وبعلومه
والمسلمين
آمين

ويليه كتاب الكشف والتبيين عن غرور الخلق اجمعين
للغزالي ايضا رضي الله عنه
ويليه رسالة وعظية له ايضا رضي الله تعالى عنه

صورة غلاف مخطوط دار الكتب المصرية

من المؤمنين على تلقيه بالرضوان فالنزيه وقيل لابن عيينة

فقال بأي [illegible] ولدي ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم

تم كتاب مقامات العلماء للمولى الإمام

الغزالي رضي الله عنه والحمد لله وحده

وصلى الله على من لا نبي بعده

كتبه محمد شريف [illegible]

وتم ليلة مولد سيد المرسلين من سنة ثلاث وثمانية بعد الألف من الهجرة على صاحبها

أفضل الصلاة وأتم التسليم

كتاب الكشف والتبيين

عن غرور الخلق أجمعين

للمؤلف أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد قال الشيخ الإمام العالم العلامة

حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي رحمه الله تعالى

ونفعنا به آمين الحمد لله وحده والصلاة والسلام على خير خلقه

سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم هذا كتاب الكشف والتبيين

في غرور الخلق أجمعين اعلم أن الخلق قسمان حيوان وغير حيوان

والحيوان قسمان مكلف وغير مكلف فالمكلف منها طبقة

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة دار الكتب



تم الكتاب بحمد الله وعونه
وصلى الله وسلم على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب
العالمين
تم

وهذا كتاب مقامات العلماء بين يدي الخلفاء
والامرا تصنيف الامام حجة الاسلام
زين الدين ابي حامد محمد بن محمد الغزالي
الطوسي نور الله مرقده ورضي عنه
وارضاه بالرحمة
والرضوان
آمين

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة برلين



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وأصحابه وسلّم

أما بعد، فإنَّ الله تعالى لم يخلق الخَلْق عبثًا، ولم يتركهم سدًى، بل أرسل إليهم الرّسل، وضرب لهم الأمثال، وسهّل عليهم السُّبّل، وجعل خيرهم القائل ما أمر به، وجعل خير المحسنين العالم بما ندب إليه، المحيط بحقائق ما مثل له، ورفع درجة العلماء على مَن عداهم، لأنَّ العلم روح، والعلم جسم، والعلم أصل، والعمل فرع، والعلم والد، والعمل مولود، والعلم كلٌ، والعمل جزء، والعلم متبوع، والعمل تابع، والعلم حاكم، والعمل محكوم فيه.

وجعل لهم في العلم درجات، على أنَّ فيهم مَن لا يحتمل الضّيم، أنفًا وترفعًا، وفي ذلك أشعار، منها قول خلف النحوي[1]:

لا تحمل الضيم نفس حر ... وإنّما يحمل الحمار
ولا تقل إنَّ ذا دياري ... للمرء كل الديار دار

هذا كتاب، جمعت فيه من ألفاظ البلغاء، وفقر الحكماء، وسير الملوك المتقدمين، وكلام الأولياء والأدباء الراشدين، وأعيان فوائد الكتب، ومختارات ما نقله ونشره أهل الأدب، ومحاسن أشعار القدماء والمحدثين، ومُلَحِ أخبار الفضلاء والمتأدبين، ما كان قريب المعنى، سهل الفحوى، مما يحفظ مثله، ولا يثقل حمله، لأنّني أخذت من كل كتاب أفخره، ومن كل شعر جوهره، معتمدًا في ذلك على ما قاله الحكيم الفاضل: خذ من العلم أرواحه، ودع أشباحه[2].

---

(١) هو أبو محرز بن حيان البصري معلم الأصمعي، المعروف بخلف الأحمر وانظره في: أمالي القالي (١/١٥٦)، والشعر والشعراء لابن قتيبة (٢/٢٨٩).

(٢) قال ابن عباس: «خذوا العلم أكثر من أن يُحاط به فخذوا منه أحسنه» رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٦٦٩)، ومثله عن الشعبي (٦٧٠).

وقال آخر: خذ من العلم أطواده، ودع وهاده.

وكما قال الآخر: خذ من العلم أعيانه، ودع أبدانه.

فليس لكل ذي قشر لبّ، وليس لكل ذي لبّ قلب، وأفضل الأجساد القلوب.

وقصدت الأرواح فأخذتها، وإلى القلوب فاستخرجتها، وإلى الأكدار فصفيتها، وجمعت من ظهور الكتب عيونها، ومن بطونها مصونها.

لأنّه لا يخصّ ظهر الكتاب إلّا بالنادر من الآداب، والفاضل من الأخبار النخاب.

كما قال الجاحظ[1]:

لله أيام مضت فكأنها كانت نوادر فوق ظهر كتاب

ثم فصلت ذلك مما سمعت من ألفاظ الأدباء، وشعر الشعراء، نثرًا ونظمًا، نادرة وشعرًا، وقصدت فيه الإيجاز والاختصار، دون الإسهاب والإطالة، لئلا يكون داعيًا إلى الملل والإضجار.

وقد قال صعصعة بن صوحان[2] في ذلك قولًا فصلًا، حاز فيه فضلًا ونبلًا:

كن على أنْ تختار أكثر منك على أنْ تكثر من الاختبار.

وقيل للفرزدق[3]: ما أصارك إلى القصار بعد أخذك في الطوال؟

قال: لأني رأيتها بالصدور أوقع، وفي المحافل أجول.

وقيل للحطيئة[4] مثل ذلك: ما بال قصارك أكثر من طوالك؟

قال: لأنّها في الأذن أولج، وبالأفواه والأذهان أعلق.

كما قال الحكيم: العلم كثير، والعمر قصير، فخذوا من كل علم أحكمه، ومن كل لفظ أبلغه وأبينه. فإنّ الإكثار مضجرة، والإقلال تبصرة.

وقال الخليل بن أحمد[5]: أكثر من العلم لتعلم، وأقلل منه لتحفظ.

---

(١) انظر: دائرة المعارف الإسلامية (٦/ ٢٣٥). (٢) انظر: الإصابة (٢/ ١٨٦).

(٣) خزانة الأدب (١/ ٢١٧)، وجمهرة الأشعار (ص ١٦٣)، ربيع الأبرار للزمخشري (٤/ ٢٥٤).

(٤) انظر: خزانة الأدب (٢/ ٤٠٦)، شرح شواهد المغني (٢/ ٩١٦).

(٥) انظر: البيان والتبيين (١/ ٢٥٦) ورواه ابن عبد البر في «الجامع» (٨٤٨)، (١/ ٥٢٢) بنحوه عن الخليل.

وقد مزجت نظمه بنثره، وحبره بشعره، وجِدَّه بهَزْلِه، ليقرب متناوله، ويخف على الأسماع قراءته، مجملة ومفصلة، غير قاصد في ذلك ما سلكه المتقدمون من أشجان الكتب وتبويبها، وإفراد المعاني وتفصيل ترتيبها.

والله أسأل أنْ يوزعنا شكره، ويلهمنا حمده وذكره، وأنْ يصلي على سيّدنا محمد وآله الطاهرين.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقام ضمرة[1] بين يدي النعمان[2]

وكان معاندًا للنعمان، ينغِّص عليه أطرافه، ويغيِّر عليه مصالحه، حتى عِيلَ صبر النعمان في أمره، فكتب إليه: أنَّ لك الأمان، ولك ألف ناقة، فادخل في طاعتي فاستجاب له ذلك. فأقبل حتى دخل على النعمان، وكان ضمرة قصيرًا دميمًا. فقال له النعمان: تسمع بالمعيدي خير من أنْ تراه.

فقال: أيُّها المَلِك، إنَّ الرجل بأصغريه، قلبه ولسانه، فإذا نطق، نطق ببيان، وإذا قاتل، قاتل بجنان.

قال: صدقت، فهل عندك علم بالأمور؟

قال: نعم. أنقض منها المبرم، وأبرم منها المسجل، ثم احتلها حتى تحول، وليس للأمور بصاحب، من لم ينظر في العواقب.

قال: فما العجز الظاهر والفقر الحاضر؟

قال: أمَّا العجز الظاهر: فالشاب القليل الحيلة، اللزوم للخاملة، الذي يطيع المرأة في قولها ويحوم إنْ غضبت برضاها، وإنْ رضيت فداها، فلا كان في الأحياء، ولا ولد مثله للنساء.

وأمَّا الفقر الحاضر: فالمرء لا تشبع نفسه، ولو بملء جسده ذهبًا.

قال: صدقت.

قال: فما السوأة السوآء، والداء العياء؟

---

(١) هو ضمرة بن ضمرة النهشلي. من شعراء الجاهلية المعروفين الأعلام (٢/ ٣١).

(٢) هو أبو قابوس النعمان بن المنذر بن امرىء القيس اللخمي، وانظر: الكامل في التاريخ (١/ ٢٨٥).

قال: السوأة السوآء: الحليلة الصخَّابة، السليطة السبَّابة، الخفيفة الوثَّابة، التي تعجب من غير عجب، وتغضب من غير غضب، المخوف غيبها، الكثير عيبها، لا تنعم باله، ولا تحسن حاله، إنْ كان مقلّا عيَّرته إقلاله، وإنْ كان ذا مال، لم ينفعه معها ماله، فأراح الله منها بعلها، ولا أمتع بها أهلها.

وأمَّا الداء العياء: الجار السوء، الذي إذا كان فوقك قهرك، وإنْ كان تحتك حسدك، وإنْ قاربته بهتك، وإنْ غبت عنه لسعك.

فإنْ كان ذلك جارك، فخل دارك وأسرع منها فرارك، وإنْ سكنت بالدار، فكن كأنَّك الكلب الهدار، وعش بذل وصغار.

فقال له النعمان: لله أنت، وأجازه بألف ناقة أُخرى، وجعله على مقدمته في العساكر.

مقام قس بن ساعدة[1] بين يدي قيصر ملك الروم

سأل قيصر [قس بن ساعدة يومًا][2] ما أفضل العلم؟

قال: وقوف المرء عند علمه.

قال: فما أفضل المروءة؟

قال: استبقاء الرجل ماء وجهه.

قال: فما أفضل المال؟

قال: ما قضي به الحق، وخير الكلام ما جاء بالصدق.

مقام عبد المطلب بن هاشم[3] ووفود العرب بين يدي سيف بن ذي يزن ملك اليمن والحبشة[4]

وذلك بعد مولد رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه، بسنتين

---

(١) هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، أحد حكماء العرب وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٢٣٠).

(٢) ما بين [ ] زيادة من خزانة الأدب (٢/ ٨٩)، والأغاني (١٤/ ٨٦).

(٣) هو أبو الحارث عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جد النبيّ ﷺ، كان زعيم قريش وسيدهم في الجاهلية وانظر: تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٦)، والكامل في «التاريخ» (٢/ ٢).

(٤) هو أبو مُرة قيل اسمه: معد يكرب، انظر: الكامل في التاريخ (١/ ٢٦٣)، وسيرة ابن هشام (١/ ٦٤).

أتته وفود العرب وأشرافها وخطباؤها وحكماؤها [تهنئه وتمدحه][١] وتذكر ما كان من بلائه، وطلبه بثأر قومه.

وكان من جملة الوفود، عبد المطلب بن هاشم، وأُمية بن عبد شمس، وأُسد بن عبد العُزَّى، وعبد الله بن جُدْعان، ووهب بن هياج، في أُناس من وجوه قريش من أهل مكة، فقدموا [للملك][١] صحافًا، فإذا هو في رأس قصر يقال له غمدان، فاستأذنوا عليه، فأذن لهم، فدخلوا عليه، فإذا الملك مضمخ بالمسك والعنبر، وعليه بردان [أخضران][١] متأزرًا بأحدهما متوشحًا بالآخر، وسيفه بين يديه، وعن يمينه وشماله الملوك، وأبناء الملوك، فدنا عبد المطلب بن هاشم منه، فاستأذنه في الكلام.

فقال له سيف بن ذي يزن: إنْ كنت ممّن جرت عادته أنْ يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك، وإلّا فاجلس ليقوم غيرك.

فقال عبد المطلب: أيُّها المَلِك، إنَّ الله تعالى أحلَّك محلّا رفيعًا [صعبًا منيعًا][١] شامخًا باذخًا وأنبتك منبتًا طابت أُرومته، وعزت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعه، في أكرم مواطن، وأطيب معادن، فأنت [أبيت اللعن][١] رأس العرب الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا [بعدهم][٢] خير خلف، فلن يخمل ذكر من أنت سلفه، ولن يهلك من أنت خَلَفه، فنحن أيّد الله المَلِك، أهل حرم الله تعالى [وذمته][٢] وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجنا، لكشفك الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة، لا وفد المرزئة.

فقال له الملك: من أنت أيُّها المتكلم؟

فقال: أنا عبد المطلب بن هاشم.

قال: ابن أُختنا؟

قال: نعم.

[فأدناه وقربه ثم][٢] أقبل عليه وعلى القوم، وقال: مرحبًا وأهلًا، وناقة ورحلًا، ومستناخًا سهلًا، وملكًا ربحلًا، يعطي عطاء جزلًا [فذهبت مثلًا. وكان أول ما تكلم

(١) ما بين [ ] زيادة من العقد الفريد لابن عبد ربه وذلك لوضوح النص وتمامه.
(٢) ما بين [ ] زيادة من العقد الفريد لابن عبد ربه (٢/ ٢١/ ٢٤) لتمام ووضوح السياق.

به][1] قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم [وقبل وسيلتكم][1] أنتم أهل الليل والنهار [ولكم القربى][1] إذا أقمتم، ولكم الحباء إذا ظعنتم، ثم أمر بهم إلى دار الضيافة [والوفود][1] وأُجريت عليهم الأنزل، فأقاموا، [ببابه][1] شهرًا لا يصلون إليه ولا يؤذن لهم [في الانصراف][1] ثم إنَّه انتبه إليهم انتباهة، فأرسل إلى عبد المطلب من بينهم فخلا به [وأدنى مجلسه][1].

وقال له: إنِّي مفض إليك من سري وعلمي بشيء، لو كان غيرك لم أبح له به، ولكني رأيتك أهله وموضعه [فأطلعتك عليه][1] فليكن عندك مطويًا، حتى يأذن الله تعالى فيه [فإنَّ الله بالغ][1] أمره، إنِّي أجد في الكتاب الناطق، والعلم الصادق، الذي اخترناه لأنفسنا، واحتجبناه دون غيرنا، خبرًا عظيمًا، وخطرًا جسيمًا، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة، وهو للناس كافة، ولقومك عامة، ولك خاصة.

قال عبد المطلب: أبيت اللعن، لقد أُبْتُ بخير ما آب به وافد، ولولا هيبة المَلِك وإجلاله، لسألته عن كشف بشارته إياي بما أزداد به سرورًا.

فقال الملك: نبي هذا حينه الذي يولد فيه، أو قد ولد، اسمه محمد، خدلج الساقين، أنجلِ العينين، في عينه علامة، وبين كتفيه شامة، أبيض كأنَّ وجهه القمر، يموت أبوه وأُمه، ويكفله جده وعمه، قد ولدناه مرارًا والله جاعل له منا أنصارًا، وباعثه جهارًا، يُعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه [ويفتح كرائم الأرض] ويضرب بهم الناس عن عرض، يكسر الأوثان، ويعبد الرحمٰن، ويخمد النيران، ويدحر الشيطان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

قال عبد المطلب: عزَّ جِدّك، وعلا كعبك، هل المَلِك ساريّ بإفصاح؟ فقد أوضح لي بعض الإيضاح.

فقال له المَلِك: والبيت ذي الحجب، والعلامات على النصب، بأنك يا عبد المطلب جدُّه غير الكذب، فَخَرَّ عبد المطلب ساجدًا، ثم رفع رأسه.

فقال له المَلِك: ثلج صدرك، وعلا أمرك، وبلغ ملكك في عقبك، هل أحسست شيئًا مما ذكرت لك؟

---

(١) ما بين [ ] زيادة من العقد الفريد لابن عبد ربه (٢/ ٢١/ ٢٤) لتمام ووضوح السياق.

قال: نعم. كان لي ابن، وكنت عليه مشفقًا، وبه مرفقًا، فزوجته كريمة من كرائم قومي، تسمى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فجاءت بغلام سميته محمدًا، خدلج الساقين، أبلج أشكل العينين بين كتفيه شامة، وفيه [كل] ما ذكر المَلِك من علامة، مات أبوه وأمه، وكفله جده وعمه.

قال المَلِك: إنَّ الذي قلت لك الحق، كما قلت، فاحفظ ابنك واحذر عليه اليهود، فإنَّهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلًا، والله مظهر دعوته، وناصر شيعته، فاغض على ما ذكرت لك، واستره دون هؤلاء الرهط الذين معك، فلست آمن إنْ تدخلهم النفاسة، من أنْ تكون لك الرياسة، فينصبوا لك الحبائل، ويطلبوا له الغوائل، وهم فاعلون ذلك وأبناؤهم، وإنَّ عِزَّه لباهر، وإنَّ حظهم به لوافر، ولولا علمي أنَّ الموت مجتاحي قبل مبعثه، لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار مملكتي، فإني أجد في الكتاب الناطق، والعلم السابق، أنَّ يثرب استحكام أمره، وأهل نصرته، وموضع قبره ولولا أني أقيه الآفات [وأحذر عليه العاهات][1] لأعلنت على حداثة سنه أمره، ولأوطأت رقاب العرب عقبه [ولكني صارف ذلك إليك عن غير تقصير مني بمن معك].

ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد، وعشر إماء، وحُلَّتين [من حلل اليمن][1] وخمسة أرطال ذهبًا، وعشرة أرطال فضة بيضاء، وكرش مملوءة عنبرًا، ومائة من الإبل.

وأمر لعبد المطلب، بعشرة أمثال ذلك.

وقال له: إذا كان الحول فأتني بخبره، وما يكون من أمره.

قال: فمات سيف بن ذي يزن قبل أنْ يحول عليه الحَوْلُ.

فكان عبد المطلب كثيرًا ما يقول: يا معشر قريش، لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء المَلِك، فإنَّه إلى نفاد، ولكن [يغبطني][2] بما يبقى لي ولقبي من بعد موتي ذكره وفخره وشرفه.

فإذا قيل: ما هو؟

قال: ستعلمون ما أقول لكم ولو بعد حين.

---

(١) ما بين [ ] زيادة من العقد الفريد (٢/ ٢٣).

(٢) ما بين [ ] زِيدَ من العقد الفريد (٢/ ٢٣)، ومروج الذهب (٢/ ٥٨).

مقام الفتيان الفدكيين بين يدي تبع الحميري[١]

وهو الأسعد الكامل، ولقبه كليكرب، وكنيته أبو كرب، ملك اليمن وهو حميري الأصل.

روى وهب بن منبه اليماني، ومحمد بن إسحٰق بن يسار، أنّ قومًا من حمير قالوا: ما كان تبع مسلمًا، وسمي تبعًا لكثرة من يتبعه من الناس، كان أعجبه فتيان من فدك[٢]، كانوا يختلفون إليه للمؤانسة.

فقالوا: قد أكرمنا هذا الرجل، وإنّا نراه يعبد نارًا، لا تغني عنه شيئًا، أفلا ندعوه إلى أمرنا ونخبره أنّ الله، عزّ وجلّ، بعث رسولًا ـ يعنون موسى عليه السلام، وقد أنزل الله تعالى عليه التوراة، فيها الحلال والحرام، والأمر والنهي.

فقال بعضهم: نخاف أنْ يقتلنا.

فقال أصغرهم: أنا أقول ذلك، فإنْ قال شيئًا قلتم: هو أصغرنا وأحدثنا سنًا.

فلما خلا بهم ذكر أمر موسى، عليه السلام.

فقال تبع للآخرين: ما يقول هذا الفتى؟

قالوا: صدق، فإنْ شئت عرضنا عليك أمرنا.

قال: افعلوا، فعرضوا عليه أمرهم، فقبلها وتابعهم، ثم عرضوا ذلك على حاشيته وخاصته فقبلوه، وفشى ذلك في الناس.

وقالوا إنّ الملك ترك دينه، فصاروا إليه.

وقالوا: بلغنا أنّك تركت دينك، فإنْ كنت فعلت ذلك لم تكن بعد هذا ملكنا، وإنْ لم تفعل فادفع إلينا هؤلاء الغلمان.

وكانت لهم في أسفل الجبل نار يقال لها بقاء، يتحاكمون إليها، فتحرق الظالم، فتحاكموا إليها فجاء الفدكيون بالتوراة، وجاء الحميريون بأصنامهم، فخرجت نار فأحرقت أصحاب الأصنام، ولم تحرق أحدًا من أصحاب التوراة، فهم قوم تبع.

---

(١) القصة باختلاف يسير في البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ١٦٦)، وتهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٣٢٨).

(٢) هي قرية بالجزيرة العربية، بينها وبين المدينة ـ مسيرة يومين ـ وقيل: ثلاثة أيام (معجم البلدان لياقوت ٤/ ٢٣٨).

مقام بعض الحكماء بين يدي امرىء القيس بن عمرو ابن امرىء القيس اللخمي

وهو محرق الأول بن عمرو بن امرىء القيس، وهو الذي تعبّد وساح في الأرض، وكان هذا المَلِك دأبه مصاحبة اللذات، فانكفأ على اللهو والشهوات وكان مع ذلك يرجع إلى عقل أصيل، ورأي ثابت، فخرج ذات يوم، فإذا هو برجل كأنّه صياد، عليه أطمار رثة، وقد جمع عظامًا من عظام الموتى، وجعلها بين يديه يقلبها.

فقال له المَلِك: ما قصتك أيُّها الرجل؟

وما بلغ بك ما أرى من سوء الحال وشحوب اللون، والانفراد في هذه الفلاة؟

فقال: ما ترى من تغيّر حالي وشحوب لوني، فإني على جناح سفر، وبي موكلان مزعجان يحثّان بي إلى منزل ضنك المحل، مظلم القعر، بعيد المقر، ثم يسلماني إلى مصاحبة البلاء، ومجاورة الهلكى، بين أطباق الثرى، فلو تركت بذلك المحل مع جفائه وضيقه ووحشته، وتقطع أعضائي فيه، وارتقاء خشاش[1] الأرض في لحمي وعظمي وعضدي، حتى أعود رفاتًا، وتصير أعظمي رميمًا، لكان للبلاء انقضاء، وللشفاء غاية، ولكني أدفع بعد ذلك إلى ضجة الحشر، وأرد موارد الجزاء، ولا أدري أي دار داري، إلى جنة أم نار؟

فبأي عيش يلتذ من يعلم أنَّ هذا مصيره؟

قال: فلما سمع المَلِك هذه المقالة، ألقى نفسه عن فرسه، وقعد بين يدي الرجل.

وقال له: لقد كدرت مقالتك عليَّ صفو عيشي، وملك الإشفاق قلبي، فأعد عليَّ بعض قولك، واشرح لي ذلك.

فقال له الرجل: أما ترى هذه العظام التي بين يدي؟

قال: بلى.

قال: هذه عظام ملوك غرتهم الدنيا بزخارفها، واستحوذت عليهم بغرورها، وألهتهم عن التأهب لهذه المصارع، حتى فاجأتهم الآجال، وخذلتهم الآمال،

---

(١) أي هوامها وحشراتها [اللسان: خشش].

وعصبتهم على الملك، وسلبتهم من النعيم، ثم أودعتهم أطباق الأرض، حتى صاروا إلى ما ترى، وستنشر هذه العظام فتصير أجسادًا، ثم تجازى بأعمالها، فأمّا إلى دار القرار، وأمّا إلى دار البوار.

ثم اختلس الرجل فلم يرَ له أثر، وتلاحق المَلِك [به] وقد امتُقِعَ لونه وتواصلت عبراته، فركب، فلما جنّ عليه الليل قام إلى ما كان عليه من اللباس فألقاه، ولبس طمرين، وخرج سائحًا في أرض الله، فكان آخر العهد به.

مقام عدي بن زيد العبادي[١]
بين يدي النعمان بن المنذر الأكبر وكان أمير الحيرة

عن جرير بن عبد الله قال: أتدرون في أيِّ يوم تَنَصَّرَ النعمان بن المنذر الأكبر؟

قالوا: لا والله.

قال: فإنّه خرج مرة ومعه عدي بن زيد العبادي، فمرّ بالقبور بظهر الحيرة.

فقال له عدي بن زيد: أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه القبور؟

قال: لا والله.

قال: فإنّها تقول:

أيُّها الركب المخبو ... ن على الأرض المجدون
فكما كُنْتُمْ كنا ... وكما نحن تكونون

فانصرف في متنزهه، منكسر القلب حزينًا، ثم خرج بعد مدة متنزهًا، ومعه عدي بن زيد، فلما مرّ بالمقبرة قال عدي بن زيد: أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه القبور؟

قال: لا والله.

قال: إنّها تقول في ذلك:

مَن رآنا فليحدِّث نفسه ... إنّه موفٍ على كل زوالْ
إنَّ بقي للدهر لا يبقى له ... ولما يأتي به صم الجبالْ

(١) هو أحد شعراء الجاهلية المتحدث بالعربية والفارسية، وكان أول من كتب في ديوان كسرى بالعربية وانظر: الأغاني (٢/ ٣٤)، وخزانة الأدب (١/ ٣٨١)، والكامل في التاريخ (١/ ٢٨٧).

رُبَّ ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلالْ
والأباريق عليها فُدمٌ وعتاق الخيل تردي في الحلالْ[١]
عمروا دهرًا بعيش حسن آمني دهرهُمُ غير محالْ
ثم أضحوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر حالًا بعد حالْ

فانصرف من متنزهه حزينًا.

وقال لعدي: إذا كان وقت السحر فاحضر وتعرّف خبري، فحضر فوجده وقد لبس المسوح ثم ساح على وجهه، ولم يعرف له خبر، وتَنَصَّرَ ولده فبنوا الصوامع والبيع، وبَنَت هند بنت النعمان بن المنذر ديرًا بظهر الكوفة يقال له: دير هند بعد قتل أبيها.

وأمّا النعمان بن المنذر بن ماء السماء اللخمي، وهو الأصغر، فإنّه قتله كسرى، ورماه تحت أرجل الفيلة[٢].

مقام عمرو بن عبيد عند المنصور[٣]

قال المنصور لعمرو بن عبيد: عظني وأوجز.

فقال: اذكر الله عند همّك إذا هممت،

وعند يدك إذا أقسمت،

وعند حكمك إذا حكمت.

قال: فبكى المنصور.

وقال: زدني يا أبا عثمان.

فقال: احذر دارًا دخلتها مجهودًا،

وأقمت فيها مكدودًا،

(١) الفُدم: هو ما يشد على فم الإبريق لتصفية ما بداخله (الصحاح: فدم).
(٢) انظر: الأبيات والقصة في الكامل في اللغة والأدب (١/ ٢٩٤)، والعمدة لابن رشيق (١/ ٢٢٣)، والأغاني (٢/ ٢٣)، والعقد الفريد (٢/ ٢٦٩)، وديوان عدي (ص ٨٢).
(٣) هو المتكلم الزاهد شيخ طائفة المعتزلة في عصره: أبو عثمان عمر بن عبيد بن باب التميمي البصري، وانظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٢٩٤)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٣٨٤)، والكامل لابن الأثير (٤/ ٣٧٦).

وتخرج عنها مطرودًا.

قال: فأطرق المنصور.

مقام آخر له معه

قال عمرو بن عبيد لأبي جعفر: إنَّ الله تعالى وهب لك الدنيا بأسرها، فاشترِ نفسك [منه] ببعضها.

قال: نعم إنْ وفقني.

قال: فأيّ الولاة أفضل؟

قال: الباذِل للنبيه، والمُعرِض عن السّفيه.

مقام [سلم بن] قتيبة عند المنصور(١)

استشار المنصور سلم بن قتيبة في قتل أبي مسلم الخراساني.

فقال: لو كان فيهما آلهة إلَّا الله لفسدتا.

قال: حسبك يا أبا أُمية، وقتله.

ورُوِي عن الربيع أبي الفضل، قال: كنت يومًا عند المنصور، وعنده جماعة من أعمامه وهم صالح بن علي، وقثم بن علي.

فقالوا: إنَّ في حبسك عبد الله بن مروان، فإنْ رأيت أنْ تبعث إليه وتسأله عن كلام جرى بينه وبين مَلِك النوبة، فعلت.

قال: فبعث إليه وقصّ عليه الحديث، وأدنى مجلسه.

وقال: حدّثني بكلام جرى بينك وبين ملك النوبة.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّا كنا قومًا ملوكًا، فلما انقضت عنا المدة أمرت بالمتاع، فصير بالمركب، فاعتام بنا الموج شهرًا، ثم صيرنا إلى جزيرة النوبة، فأمرت بالمضارب فضربت، فأقبلت النوبة ينظرون إلى متاعنا، ويتعجبون من حسنه، وأقبل مَلِك النوبة، فإذا هو رجل طويل أصلع حاف، عليه كساء، وقد اشتمل به فسلَّم وجلس على الأرض، ولم يجلس على بساطي.

---

(١) هو سلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين أبو عبد الله الباهلي الخراساني أحد ولاة البصرة أيام أبي جعفر المنصوري توفي سنة ١٤٩ هـ. وانظر: الكامل في التاريخ (٥/٢٨). وما بين [ ] صُحّف إلى (مسلم) في المخطوط، وما أُثبت هو الصواب.

فقلت: لم تركت الجلوس على بساطي؟

قال: لأني مَلِك، وحق لمن رفعه الله أنْ يتواضع لله إذا رفعه.

قال: ثم صوّب نظره في وجهي وصعده.

وقال: ما بالكم تطؤون الزرع بدوابكم، والفساد محرم عليكم في كتابكم؟

قلت: عبيدنا وأشياعنا فعلوا ذلك بالجهل منهم.

قال: فما بالكم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم؟

قلت: عبيدنا وأتباعنا فعلوا ذلك بالجهل منهم.

قال: فما بالكم تلبسون الحرير والديباج، وتتحلون بالذهب والفضة، وهو محرم عليكم؟

قلت: إنّا كنا ملوكًا فلما انقضت بنا المدة استَعَنَّا بأعاجم دخلوا في ديننا، وكرهنا الخلاف عليهم.

قال: ليس والله يا ابن مروان الأمر كما تزعم، ولكنكم قوم ملكتم فظلمتم، وتركتم ما أُمرتم به، فأذاقكم الله وبال أمركم، ولله فيكم بقية لم تبلغ، وإني لأخشى أنْ تنزل بك مصيبة وأنت ضيفي [وعلي بساطي][1] فتصيبني معك، فارتحل عني.

قال: فتزودت وارتحل عنه[2].

مقام شبيب بن شيبة[3] بين يدي المهدي

قال الشيخ أبو عبد الرحمٰن محمد بن الحسين السلمي: سمعت أبا الفضل العطار يقول: سمعت ابن الأعرابي يقول: بلغني أنَّ شبيب بن شيبة دخل على المهدي فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، إنَّ الله، عزّ وجلّ، لما قسم الأقسام، لم يرض لك من الدنيا إلّا بأسناها وأعلاها، فلا ترض لنفسك من الآخرة

---

(١) ما بين [ ] زيادة من العقد الفريد (٤/٤٧٣)، وربيع الأبرار (٢/٨٣٨).

(٢) انظر هذه القصة في: المصدرين السابقين، وكذلك عيون الأخبار لابن قتيبة (١/٢٦)، وغرر الخصائص للوطواط (ص ٧٥)، وتهذيب تاريخ دمشق (٢٥/٤٤٦).

(٣) هو شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو المنقري الأهتمي أبو معمر البصري الخطيب، كان صاحب فصاحة وحكمة. انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٢٦٢)، وتهذيب التهذيب للحافظ (٤/٣٠٨).

إلّا بمثل ما رضي الله لك [به] من الدنيا، وعليك بتقوى الله، والعفو عند القدرة، ومخالفة الهوى(١).

مقام محمد بن إدريس الشافعي(٢) بين يدي هارون الرشيد وأبي يوسف يعقوب

روى عبد الله بن محمد العلوي، قال: لما جيء بمحمد بن إدريس الشافعي، وأُدخل العراق على بغلة له، وعليه طيلسان مطبق، وفي رجليه نعل حديد، وكان من أصحاب عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي، عليهم السلام، فأُدخل على الرشيد، فسأله عن القرآن والسنّة النبوية، وعن الشعر والعرب، وأيام العرب العاربة فيها، وعن الأحكام، وعن الطب، وعن النجوم، وهو يتكلم فيها بفهم دقيق، وذهن صاف. ولفظ رقيق، فازداد منه الرشيد تعجبًا، فوعظه فأبلغ في الموعظة، فأمر له بجائزة فأبى أنْ يقبلها، وخرج محمد ويعقوب، وكان أبو يوسف قاضي القضاة، ومحمد على المظالم، فجردا عشرين مسألة، وبعثا بها إلى الشافعي مع حدث من أصحاب الحديث، فدخل بها على الشافعي، فلما قرأها.

قال له: من أعطاك هذه المسائل؟

قال: من أحب تفسيرها.

قال: متعنّت. أو متعلّم.

قال: فسكت الحدث.

قال الشافعي: هذا من عند محمد ويعقوب.

قال: فنظر فيها الشافعي وحفظها، وقام فدخل على الرشيد فأخبره، وأقرأه الدرج فبعث إليهما فأحضرهما، وسألهما عن الدرج فاعترفا.

---

(١) انظر هذه القصة في: عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ١٠٦)، والبيان والتبيين للجاحظ (٢/ ٩٧)، والعقد الفريد لابن ربه (٣/ ١٦٥).

(٢) هو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وإليه نسبة الشافعية كافة، قال المبرد: كان الشافعي أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات. وانظر في ترجمته: تذكرة الحفاظ (١/ ٣٢٩)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٤٤)، شذرات الذهب (٢/ ٩)، ترتيب المدارك (٢/ ٣٨٢)، حلية الأولياء (٩/ ٦٣)، تاريخ بغداد (٢/ ٥٦)، البداية والنهاية (١٠/ ٢٥١)، مناقب الشافعي للبيهقي والرازي، ومصطفى عبد الرزاق، وحسين الرافعي، ومحمد أبي زهرة، وغيرهم من المشايخ والعلماء الذين صنّفوا في مناقبه.

فقال الرشيد للشافعي: فَسِّر ذلك فصلًا فصلًا.

فقال: يا أمير المؤمنين أول مسألة: سألاني عن رجل أبق له عبد.

فقال: هو حر إنْ طعمت طعامًا حتى أجده.

الجواب: أنْ يهبه لولده [ويأكل ثم يرجع فيما وهب][1].

وسألاني عن رجلين كانا فوق سطح، فقام أحدهما فسقط فمات، فحرمت على الآخر امرأته.

الجواب: إنَّ امرأة الحي كانت أمَة الرجل الساقط، وكان الزوج بعض ورثته، وصارت الأمَة ميراثًا، فحرمت عليه بالموت.

وسألاني عن رجلين خطبا امرأة، فحلت لأحدهما ولم تحل للآخر، من غير مكروه.

الجواب: إنَّ أحد الرجلين له أربع نسوة، فحرمت عليه الخامسة، والآخر لم يكن له امرأة، فحلّت له بالخطبة والنكاح.

وسألاني عن رجل ذبح شاة في منزله، ثم خرج لحاجة فرجع، وقد حرمت عليه الشاة.

فقال لأهله: كلوا، فقد حرمت عليَّ.

قال أهله: ونحن قد حرمت علينا أيضًا.

الجواب: إنَّ الرجل كان مشركًا وثنيًا، فذبح شاة وخرج لحاجة، وأسلم فرجع، وقد قيل لأهله: إنَّ أباكم قد أسلم، فأسلموا، فحرمت على الكل.

وسألاني عن امرأة تزوجت في شهر واحد ثلاثة أزواج، كل ذلك حلال.

الجواب: إنَّ هذه المرأة طلقها زوجها وهي حاملة، فولدت بعد عشرة أيام، فسقطت عنها العدة، ثم خطبها رجل آخر، فاختلعت منه قبل أنْ يدخل بها، وما عليها عدة، ثم خطبها رجل ثالث فدخل بها. فقد تزوجت ثلاثة أزواج حلالًا في شهر واحد.

---

(١) ما بين [ ] زيادة من مناقب الشافعي للرازي (ص ٤٢).

وسألاني عن رجل حُرِّمت عليه امرأته سنة، ثم حلّت له من غير حلف ولا طلاق ولا عدة.

الجواب: إنَّ ذلك الرجل والمرأة كانا في الحج، وهما محرمان، وفاتهما الحج، فلم تزل امرأته عليه حرامًا، فلما كان العام المقبل حلّت له امرأته.

وسألاني عن امرأتين لقيتا غلامين، فقالتا: مرحبًا يا ابنينا وابني زوجينا، وهما زوجانا.

الجواب: إن المرأتين كان لهما ولدان، فتزوجت كل واحدة منهما بابن صاحبتها، فكانا ابنيهما، وابني زوجيهما، وزوجيهما.

وسألاني عن رجلين شربا الخمر، فوجب على أحدهما الحد، ولم يجب على الآخر، وكلاهما مسلمان [حران بالغان][1].

الجواب: إنَّ أحدهما كان بالغًا، فوجب عليه الحد، والآخر كان صبيًّا لم يبلغ الحلم، فثرد في الخمر فأكل الثريد، ولا حدّ عليه.

وسألاني عن مخلوقين، سجدوا لغير الله، في فعلهم مطيعين لله تعالى.

الجواب: في ذلك إنهم الملائكة، سجدوا لآدم عليه السلام.

وسألاني عن رجل قال لولده: إنْ مت فلك من إرثي ألفا درهم، ولو كنت ابن عمي لكنت تنال من إرثي عشرة آلاف درهم.

الجواب: إنَّ للرجل الميت ثلاثين ألف درهم، وله ثمانية وعشرون ابنة وابن، فللابن ألفا درهم، ولكل ابنة ألف درهم، ولو أنه ابن عمه لكان له عشرة آلاف درهم. وسألاني عن رجل أخذ قدحًا ليشرب به، فشرب بعضه حلالًا، وحرم عليه الباقي في الإناء.

الجواب: إنه شرب بعضه ورعف في الباقي، حتى غلب الدم، فحرم عليه الباقي.

وسألاني عن امرأة ادعت أنَّ زوجها ما قربها [مذ تزوج بها][2]، وأنَّها بكر كما خلقت.

---

(١) ما بين [ ] زيادة من مناقب الشافعي للرازي (ص ٤٣).
(٢) ما بين [ ] زيادة من مناقب الشافعي للرازي (ص ٤٧).

الجواب: إنَّ القابلة تؤمر أنْ تحملها بيضة فإنْ غابت فهي كاذبة، وإنْ لم تغب فصدقت في دعواها.

وسألاني عن رجل دفع إلى امرأته كيسًا مختومًا، فقال لها: أنت طالق إن فتحتيه، أو فتقتيه، أو خرقتيه، وأنت طالق إنْ لم تفرِّغيه.

الجواب: إن الكيس فيه ملح فوضعته في ماء حار، فأذابته وخلا الكيس من الملح.

وسألاني عن امرأة لقيت غلامًا فقبلته، وقالت [له]: فديت من أُمي ولدت أُمه وأنا امرأة.

الجواب: إنَّها أُمه.

وسألاني عن رجل لقي جارية فقبَّلها، وقال: فديت من أبي جدها، وأخي عمها وأنْ أنكح أُمها.

الجواب: إنَّها ابنته.

وسألاني عن خمسة زنوا بامرأة، وجب على أحدهم القتل، وعلى الثاني الرجم، وعلى الثالث الحد، وعلى الرابع نصف الحد، ولم يجب على الخامس شيء.

الجواب: إنّ الأول مشرك زنا بمسلمة فقتل، والثاني مُحصن زنا فوجب عليه الرجم، والثالث بكر فوجب عليه الحد، والرابع مملوك فوجب عليه نصف الحد، والخامس مجنون، أو صبي فلا يجب عليهما شيء.

وسألاني عن امرأة قهرت مملوكها [على نفسها][1] حتى وطأها وهو كاره.

الجواب: إنَّ المملوك إنْ كان خشي أنْ تقتله إنْ لم يفعل ما أمرته، فلا شيء عليه. وإنْ لم يخش القتل وخشي الضرب، فعليه نصف الحد، وإنْ كانت مولاته محصنة، فعليها الرجم، وإنْ كانت غير محصنة فعليها الجلد، ويباع المملوك عليها أيضًا.

وسألاني عن رجل صلّى بقومه فسلّم عن يمينه فطلقت امرأته، وعن شماله ففسدت صلاته، ونظر إلى السماء، فوجب عليه ألف درهم من وقته.

(١) ما بين [ ] زيادة من مناقب الشافعي.

الجواب في ذلك: إنَّ هذا الرجل لمَّا سلَّم عن يمينه نظر إلى رجل كان تزوج بامرأته وغاب عنها، فتزوج بها هذا، فلما قدم من سفره وليس بَعْدَ النظر إلى وجهه لفراقها بدًّا وسلم عن شماله فنظر في ثوبه فرأى دمًا كثيرًا، فوجب عليه إعادة صلاته، ونظر إلى السماء فرأى الهلال، وكان عليه دين منجم ألف درهم.

وسألاني عن رجل ضرب رأس رجل بعصا، فادعى المضروب أنَّ ضاربه قد أذهب في ضربته إحدى عينيه وأنَّه قد حَزَّ خياشيمه، وأنَّه قد أخرس لسانه من الضرب، وهو لا يقدر أن يتكلم.

الجواب: أنْ يقام في مستقبل الشمس، فإنْ لم يطرف فهو صادق، ويشم الخرا فإن لم يتأذ به فهو صادق، ويغرز في لسانه بإبرة فإن لم يخرج منه إلَّا دمًا أسود فهو صادق.

وسألاني رأس العشرين مسألة، عن إمام كان يصلي بأربعة نفر، فدخل المسجد رجل آخر، فصلّى معهم عن يمين الإمام فلما سلم الإمام عن يمينه ونظر إلى الرجل وجب على الإمام ضرب العنق وأخذ امرأته منه، وتدفع إلى الرجل، ووجب هدم المسجد، ويجب على الأربعة الذين صلوا خلف الإمام الجلد.

الجواب: إنَّ الرجل الذي دخل بعد الأربعة وصلّى معهم كان إمام ذلك المسجد، فسافر وخلف امرأته عند أخيه، فشد ذلك الإمام على أخ الرجل فقتله وأخذ امرأة الغائب غصبًا، وادعى أنَّها امرأته، والأربعة شهدوا على ذلك، وأخذ دار الرجل الغائب فجعلها مسجدًا، فوجب عليه القتل، وعلى الأربعة الجلد ورجعت إلى الغائب امرأته، ويخرب المسجد، ويرد دارًا كما كان.

ثم قال الشافعي، رحمه الله تعالى: وإني سائلهما عن مسألتين، فإنْ أجابا فالحمد لله [وذلك ظني بهما][1] وإنْ لم يجيبا فأنا أسألك يا أمير المؤمنين أنْ تكفنيهما، فإني مشغول عنهما بشيء من الفقه، أجمعه لإصلاح دين الخاصة والعامة.

فقال الرشيد: يا ابن إدريس سلهما عن ما تحب، كما سألاك.

فأقبل الشافعي على محمد بن الحسن فقال له: ما تقول في رجل مات وخلَّف ستمائة درهم وله من الورثة أُخت فأصابها مما ترك درهمًا واحدًا. فافرض هذه الفريضة؟. فسكت محمد بن الحسن.

---

(١) زيادة من مناقب الشافعي للرازي.

وأقبل الشافعي على يعقوب، فقال: ما تقول في رجل تزوج بامرأة وزوج ابنه أمها فجاءت الأم والابنة بولدين، ما يكون هذا الولد من هذا؟ فسكت يعقوب.

فقال الرشيد: يا ابن إدريس فسرهما وأنا أكفيك أمرهما.

فقال الشافعي، رحمه الله تعالى يا أمير المؤمنين ابن الأم خال لابن البنت، وابن البنت عم لابن الأم.

وأمَّا فريضة الستمائة درهم، فإنَّه بلغني أنَّ امرأة جاءت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام، وقد وضع رجله في ركاب بغلة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليركبها فقالت: يا أمير المؤمنين إنِّي قد جئتك عام أول، وقد مات أخي، وخلَّف ستمائة درهم، فدفعت إلي درهمًا واحدًا، فكيف حكمت لي، فقال علي، عليه السلام: بحكم الله تعالى، إنَّ أخاك مات وخلّف ابنتين، فأصابهما الثلثان أربعمائة درهم، وخلَّف والدة، فأصابها السدس، مائة درهم، وخلف زوجة، فأصابها الثمن، خمسة وسبعين درهمًا، وخلف اثني عشر أخًا فأصابهم درهمان، ولك درهم واحد.

فضحك هارون الرشيد ثم أقبل على يعقوب ومحمد بن الحسن فقال: دعاه عنكما، فإن الله تعالى قد فرض له أحق القرابة من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وحق الشرف.

فقالا: نطيع أمير المؤمنين ولا نعصيه.

قال: فأمر الرشيد له بألف دينار وخلع عليه ثيابه، فما بلغ الباب ومعه شيء إلَّا قبضة دفعها إلى خادمه ليستعين بها.

قال: ولقد رأيت محمد بن الحسن بعد ذلك يتردد إلى الشافعي، وربما حجبه عنه والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب(١).

مقام الأوزاعي(٢) وأبي يوسف(٣) بين يدي هارون الرشيد

سأل هارون الرشيد الأوزاعي عن لبس السواد، فقال: لا أُحرِّمُه، ولكن أكرَهُه.

(١) انظر: معجم الأدباء للحموي (٦/ ٣٦٧)، ومناقب الشافعي للرازي (ص ٤١، ٥٦).

(٢) هو عبد الرحمٰن بن عمرو الأوزاعي، الحافظ الفقيه المجتهد الزاهد المعروف توفي سنة ١٥٧ هـ. وانظر: حلية الأولياء (٦/ ١٣٥).

(٣) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي ـ صاحب أبي حنيفة ـ عمل قاضيًا ببغداد في=

قال: ولِم تكرهه؟

قال: لأنّه لا تجلا فيه عروس، ولا يلبي فيه محرم، ولا يكفن فيه ميت.

فالتفت إلى أبي يوسف، فقال:

ما تقول في السواد؟

فقال: النور في السواد يا أمير المؤمنين؛ يعني: أنَّ الإنسان ينظر بسواد عينيه، فاستحسن الرشيد قوله.

فقال: وفضيلة أُخرى يا أمير المؤمنين.

قال: وما هي؟

قال: لم يكتب كتاب الله، عزّ وجلّ، إلّا به، فاهتز الرشيد لقوله ذلك وأجازه.

مقام أبي يوسف القاضي بين يدي هارون الرشيد

عن المبرد عن أبي يوسف أنّه حضر عند الرشيد يومًا، فقدم من الطعام ما يحتاج إلى ملعقة، وصاحب المائدة قد غفل عنها، فغضب الرشيد على الرجل.

فقال أبو يوسف: يا أمير المؤمنين، رُوي عن جدك، أبي العباس عبد الله بن عباس.

في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: الآية ٧٠] أنَّ هذا التكريم، أنَّ كل شيء يأكل بفمه إلَّا ابن آدم فإنَّه يأكل بيده، فأُتي بالملعقة، فأخذها وكسرها، وجعل يأكل بيده، ويقول: صدق جدي.

مقام آخر لأبي يوسف

حُكِيَ أنَّ مسلمًا قتل يهوديًا في أيام الرشيد، فرفع ذلك إلى أبي يوسف القاضي، فحكم بوجوب القَوَدِ عليه، فلما كان في مجلس حكمه اجتمع الناس، وأُحضر القاتل، وكان على رأس أبي يوسف رجل يأخذ الرقاع ويدفعها إليه، فحبس رقعة من الرقاع فلم يدفعها إليه، فقال أبو يوسف: ما هذه الرقعة؟ وأخذها منه

= خلافة المهدي والهادي والرشيد، توفي سنة ١٨٢ هـ. وانظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٢٤٢)، وأخبار القضاة لوكيع (٣/ ٢٥٤).

وقرأها، فإذا فيها، شعر:

يـا قـاتـل الـمـسـلم بـالـكـافِـر جُـزتَ ومـا الـعـادلُ كـالـجـائـرِ
يـا مـن بـبـغـدادَ وَأَطـرافِـهـا مـن عـلـمـاءِ الـنـاسِ أوْ شـاعـرِ
جـار عـلى الـدِّيـن أبـو يـوسـفٍ بـقـتـله الـمـسـلم بـالـكـافـرِ
فاسترجعوا وابكوا على دينِكُمْ واصـطـبـروا فـالأجـرُ لـلصـابـرِ

قال: فأخذ أبو يوسف الرقعة، ودخل على الرشيد، فأعلمه بذلك.

فقال: احتل في هذه القصة.

فلما كان في المجلس الآخر حضر ولي القتيل، وادعى القصاص.

فقال أبو يوسف: ائتوني بشاهدين عدلين، يشهدان أنَّ صاحبكم كان يؤدي الجزية، وكان له ذمة مؤبدة، فتعذر عليهم ذلك، فأسقط القصاص[1]، وأخذوا الدية[2] والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

مقام بهلول المجنون[3] بين يدي هارون الرشيد

قال محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن الحسين السلمي: سمعت عبد الله بن الحسن الصوفي يقول: سمعت الفضل بن الربيع يقول: حججت مع هارون الرشيد، فلما أنْ صرنا بالكوفة في طاق المحامل، فإذا نحن ببهلول المجنون، فأخذ يهذي ويلعب بالتراب، فابتدر إليه الخدم، فضربوه وطردوه، فأسرعت إليه، وحلت بين الخدم وبينه، وقلت: اسكت يا بهلول فهذا أمير المؤمنين قد أقبل، فلما جاءه الهودج[4].

---

(١) القصاص: القود وهو أن يقتل الرجل بالرجل، أو الجرح بالجرح. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (قصص)، والزاهر له (ص ٢٣٧).

(٢) الدية: حق القتيل (تهذيب اللغة: ودي).

(٣) هو أبو وهيب بهلول بن عمرو الصيرفي الكوفي، كان من عقلاء المجانين، له نوادر وأشعار وكلام مليح، وأخباره كثيرة في كتب الأدب. وانظر: البيان والتبيين للجاحظ (٢/ ٢٣٠)، وفوات الوفيات للصفدي (١/ ٢٢٨).

(٤) الهودج: هو من مراكب النساء، يصنع من العصي، ويجعل فوقه خشبًا مقببًا، وانظر: (الصحاح، واللسان: هدج).

قام وقال: يا أمير المؤمنين، حدّثني أيمن بن نابل، قال: حدّثني قدامة بن عبد الله العامري، قال: رأيت رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، بمنى على ناقة صهباء ولا ضرب ولا طرد، ولا إليك إليك[١].

فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّه بهلول المجنون.

قال: قد عرفت.

قل وأوجز.

قال: يا أمير المؤمنين، وبهذا الإسناد قال، قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلم:

«من رزقه الله مالًا وجمالًا فعفّ في جماله وواسى من ماله، كتب عند الله تعالى في ديوان الأبرار»[٢].

قال: ففطن الرشيد أنَّ عليه دينًا، فقال: قد أمرنا أنْ يقضى عنك دينك، فقال بهلول: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا تقضي دينًا بدين أُردد الحق إلى أهله، فجميع ما في يدك هو دَين عليك.

فقال: قد أمرنا أنْ تجري عليك نفقة.

فقال: يا أمير المؤمنين، لا تفعل، أترى الله تعالى أجرى عليك جراية ونسيني، إنَّ الذي أجرى عليك هو الذي يجري عليَّ رزقي إلى يوم وفاتي.

ثم أنشد، شعر:

تـــوكــــلت عـــلى الله ... ومـــا أرجـــو ســـوى الله

ومـا الـــرزق مـــن الـنـــاس ... بـــل الـــرزق مـــن الله[٣]

مقام الفضيل بن عياض[٤] بين يدي هارون الرشيد

قال أبو عبد الرحمٰن محمد بن الحسن السلمي: سمعت محمد بن طاهر الوزير يقول: سمعت محمد بن عثمان الخياط، قال: حدّثنا أحمد بن عاصم، قال:

---

(١) رواه الترمذي (٢/ ١٩٢)، وابن ماجة (٢/ ١٠٠٩)، عن قدامة به فذكره.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: محاضرة الأبرار (١/ ١٧٧)، وصفة الصفوة (٢/ ٢٩١).

(٤) هو شيخ الزهاد وإمام العباد: الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الكوفي توفي سنة ١٨٧ هـ، انظر: طبقات ابن سعد (٥/ ٣٦٦)، وحلية الأولياء (٨/ ٨٤)، تهذيب التهذيب (٨/ ٢٩٤).

أخبرنا عبد الله الأنطاكي، قال: قال هارون الرشيد لسفيان بن عيينة[1]، أُحب أنْ أرى.

قال: أذهب بك إليه إن شئت.

قال: قد شئت. فسارا، فلما وقفنا بالباب استأذن سفيان على الفضيل.

قال: من هذا؟

قال: سفيان.

قال: يدخل.

قلت: ومَن معي؟

قال: ومَن معك.

فلما دخلا قال سفيان: هذا أمير المؤمنين هارون الرشيد.

فقال له الفضيل: وإنَّك لهويًا جميل الوجه، أنت الذي بين الله وبين خلقه، وليس أحد غيرك، أنت الذي يسأل يوم القيامة، فكل إنسان عن نفسه وتسأل أنت عن هذه الأمة قال: فبكى هارون لكلامه.

مقام محمد بن السماك[2] بين يدي هارون الرشيد

قال أبو عبد الرحمٰن السلمي، أخبرنا محمد بن طاهر، قال: حدّثنا أبو عصمة، قال: حدث سفيان بن عيينة قال: قال ابن السماك: بعث إليَّ هارون الرشيد، فلما أتيت باب القصر لقيني خصيان ضخمان، فأسرعا بي إلى ساحة القصر، حتى انتهيا بي إلى البهو الذي هو فيه، فقال هارون: رفقًا بالشيخ، فلما وقفت بين يديه سلمت عليه، وقلت: يا أمير المؤمنين، ما مرَّ بي يوم منذ ولدتني أُمي أتعب من يومي هذا، فاتق الله يا أمير المؤمنين واعلم أنَّ لك مقامًا بين يدي الله تعالى، وأنت فيه أذل من مقامي بين يديك، فاتق الله في خلقه، واحفظ محمدًا في أُمته، واعلم أنَّ الله تعالى أخذ بقسطه وانتقامه من أهل معاصيه.

قال: فاضطرب على فراشه حتى وقع على مصلى كان تحته.

---

(١) هو أحد السفيانين، الثقة المشهور بزهده وعلمه وحديثه توفي سنة ١٩٨ هـ. وانظر: حلية الأولياء (٧/ ٢٧٠)، وتاريخ بغداد (٩/ ١٧٤).

(٢) هو أبو العباس محمد بن السماك بن صبيح الكوفي، أحد رواه الحديث، الإمام الزاهد، توفي سنة ١٨٣ هـ، وانظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٣/ ٥٨٤)، ولسان الميزان للحافظ (٥/ ٢٠٤).

فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا ذل الصفة، فكيف لو رأيت ذل المعاينة؟ فكادت نفسه تزهق وكان يحيىٰ بن خالد إلى جانبه، فقال للخصيين: أخرجاه، فقد أبكى عين أمير المؤمنين، فقال سفيان، رحمه الله: لقد أبلغ.

مقام آخر لابن السماك

دخل ابن السماك على الرشيد، فقال [له] عظني وأوجز.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ الدنيا كلها أرباح، فاجعل نفسك رأس مالك، فإنَّك لن تكسب لها مثلها.

قال: زدني، فأنشده، شعر:

وأنت تحب أنْ تدعى حكيمًا ... وأنت لكل ما تهوى ركوب
وتضحك دائبًا ظهرًا لبطن ... وتذكر ما أبيت ولا تتوب

فقال: زدني.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ تواضعك في شرفك، أشرف من شرفك.

قال: فدعا بالقرطاس وكتب ما قاله.

مقام آخر له معه

دخل ابن السماك على هارون الرشيد، فقال له: تكلم أيُّها الشيخ.

قال: بلغني يا أمير المؤمنين، أنَّ الله تعالى يقول لعيسى ابن مريم يوم القيامة: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: الآية ١١٦] فترتعد فرائصه، حتى تزول عنه مفاصله، والله، عزّ وجلّ، يعلم أنَّ عيسى، عليه السلام، لم يقل هذا، وعيسى يعلم أيضًا أنَّه لم يقل هذا، فكيف أنت تسأل يوم القيامة عن ألف ألف [أمر] أنت علمته والله يعلمه.

قال: فخرَّ الرشيد مغشيًا عليه، فصرخت جارية في الحجرة: أخرجوا هذا الرجل من عند أمير المؤمنين، فقد قضى نحبه من كلامه، ثم أفاق.

فقال: زدني يا شيخ.

قال: وخسر وخاب من لم يكن له في جنة عرضها السمٰوات والأرض مكان يسكنه.

مقام منصور بن عمار(١) بين يدي هارون الرشيد

قال بعض العلماء: بلغنا أنَّ الرشيد حلف ذات يوم أنَّه من أهل الجنة، فسأل العلماء قاطبة، فعجزوا عن جوابه.

فقال له بعض العلماء: يا أمير المؤمنين، هل تركت معصية أشرفت عليها فخفت الله تعالى فتركتها ابتغاء لوجهه خالصًا.

قال: نعم، كانت لامرأتي جارية، وكنت أُحبها حبًا شديدًا، فخلوت بها يومًا، فقلت: من ينجيك اليوم مني؟

فقالت: يا أمير المؤمنين، الله الذي يرانا، فخفت الله تعالى وتركتها.

قال له العالم: لم تحنث يا أمير المؤمنين في يمينك، قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٤٦].

قال له: عظني وأوجز.

فقال: يا أمير المؤمنين، أول ما يجب للمنعم على المنعم عليه أنْ لا يجعل نعمته لمعصيته وسيلة.

مقام معن بن زائدة(٢) بين يدي أبي جعفر المنصور

قال المنصور يومًا لمعن بن زائدة:

كبرت يا معن.

قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين.

قال: وإنَّك لَجلْد.

قال: على أعدائك، يا أمير المؤمنين.

---

(١) هو أبو السري منصور بن عمار أصله من مرو، عاش في البصرة، كان محدثًا، روى عن الليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة، وغير معروف مولده ووفاته. وعُرف بمنصور الواعظ، لكثرة وعظه. قال ابن النديم: ضاعت آثاره، وقد وصلت إلينا عبارات له مذكورة في المصادر. قلت: وقد حققت له: «حديث منصور بن عمار» مع الأخ بشار البحراني. وانظر: الميزان (٣/ ٢٠٢)، تاريخ بغداد (١٣/ ٧١)، ولسان الميزان (٦/ ٩٨، ١٠٠).

(٢) هو معن بن زائدة بن عبد الله الشيباني، أحد شجعان العرب وأجوادها، وكان معروفًا أيضًا بفصاحته وبلاغته، وانظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٥)، ومعجم الشعراء (ص ٣٢٤).

قال: وفيك بقية.

قال: هي لك يا أمير المؤمنين[١].

مقام محمد بن الحسن الشيباني[٢] والكسائي[٣] في مجلس هارون الرشيد

قال الرشيد: يا محمد لم لا تصرف همتك وعنايتك إلى الفقه، ومعرفة الحلال من الحرام؟

فقال: قد عرفت ذلك.

قال: فإلى معرفة العربية والنحو الذي لا يستغنى عنه.

قال: قد عرفت ذلك.

وسأله الكسائي عن رجل صلّى فسها في صلاته، ما الذي يلزمه؟

قال: يلزمه سجدتا السهو.

قال: ما تقول إنْ سها في سهوه؟

قال: لا يلزمه شيء.

قال: لِمَ؟

قال: لأنَّ العرب لا تصغّر التصغير.

وسأله الكسائي أيضًا عن الفرق بين رجل قال لامرأته: إنْ دخلتِ الدارَ فأنت طالق، وبين قوله: إنْ دخلت الدار طالق أنت.

فقال محمد: قوله: إنْ دخلتِ الدارَ يكون موقوفًا على الشرط، لا يقع إلَّا بعد دخول الفاء.

---

(١) انظر القصة في: البيان والتبيين (٣/ ٢٧٥)، ووفيات الأعيان (٤/ ٣٣٣)، والعقد الفريد (٢/ ٢٧٠).

(٢) هو صاحب مالك وأبي حنيفة، وتولى الفتوى والتعليم على مذهب الحنفية بعد وفاة الإمام انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٢٤)، ولسان الميزان (٥/ ١٢١). له موطأ عن مالك، وغير ذلك من مؤلفات مشهورة.

(٣) هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الأسدي، أحد القراء، أعلام اللغة. انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٢٠١).

وقوله: إنْ دخلتِ الدارَ فطالق أنت تطلق في الحال.

قال: لِمَ؟

قال: لأنّه قد طلقها وعلق طلاقها، فكأنّه قال: طلقتك لدخول الدار، وفي المسألة الأولى علقه بالشرط(١).

مقام مالك بن أنس(٢) بين يدي هارون الرشيد

قيل: لما حج هارون الرشيد بدأ بالمدينة، فأرسل إلى مالك بن أنس أنْ احمل إلي كتبك، أو قال: كتابك الذي عملته.

فقال: لا أفعل.

فاجتمع الأشراف إلى مالك، فقالوا له: هذا رجل جبار، فاحمل إليه، ولا تسلطه على نفسك.

فقال: إنْ كان ولا بد فأذل نفسي، ولا أذل علمي، فلبس وجاء إليه فاستأذن عليه ودخل.

فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ شرفك برسول الله، صلّى الله عليه وسلم واقتدائك به أنّه حدّثني نافع عن ابن عمر، أنَّ رسول الله، كان رأسه في حجر ابن أُم مكتوم، فنزلت(٣): ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ [النّساء: الآية ٩٥].

فقال ابن أُم مكتوم: أيُّ شيء أصنع يا رسول الله؟ أنا رجل ضرير، فَعَرجَ جبريل عليه السلام ونزل، فقال: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: الآية ٩٥] فجبريل عَرَجَ ونزل في نصف ساعة خمسمائة عام حتى عدّد السمٰوات.

فتأمرني أنْ أحمل إليك كتابي وقد عملت الأحكام وجمعت فيه السنن.

---

(١) انظر هذه القصة في: معجم الأدباء (١٣/ ١٧٥).

(٢) هو إمام المدينة دار الهجرة، أحد الأئمة الأربعة، صاحب الموطأ توفي سنة ١٧٩ هـ. وانظر: حلية الأولياء (٦/ ٣١٦)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٥).

(٣) رواه البخاري (٦/ ٣٨٥)، (٩/ ٣٢٨، ٣٢٩)، وأبو داود (٢/ ٣١٩)، والترمذي (٤/ ٩١، ٩٢)، والنسائي (٦، ٩، ١٠)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩٠، ٢٩٩، ٣٠٠)، (٥/ ١٨٤، ١٩١)، والدارمي (٢/ ٢٠٩)، وابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٢٢٨، ٢٢٩)، وابن سعد (٤/ ١٥٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٨٢) من حديث البراء وزيد بن ثابت مرفوعًا.

فقال: لا نسمعه إلّا في بيتك، فخرج معه الرشيد، فلما أراد أنْ يركب قال: يا أمير المؤمنين، حدّثني نافع عن عبد الله بن عمر. قال: قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلم:

«إنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يطلب»[١].

فامشِ. ولا تركب.

فقال: افعل، فمشى معه حتى سار إلى منزله، فقال: يا أمير المؤمنين اجلس حتى أتأهب. فدخل فنصب منصته فجلس عليها وأذن له فدخل وأجلسه معه إلى جانبه. فكان مالك إذا حدّث بالحديث عن رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، يحرك يده حتى يفرغ، فقال له: حدّثني نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم:

«إنَّ الخاص إذا تخصص بالعلم دون العام لم ينتفع به الخاص ولا العام».

وهذا كتاب قد عملته وما سمع به أحد من أصحاب الحديث.

فنادى في الموسم فحضر أهل العلم والحديث. فقال له: حدّثنا.

فقال: يا أمير المؤمنين، حدّثني نافع عن ابن عمر، أنَّ رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، قال:

«من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله».

فانزِل واجلِس مع أصحاب الحديث، فنزل وجلس معهم، ورفعه إلى جانبه.

وقال: ما أُسمّي هذا الكتاب يا أمير المؤمنين؟

قال: سمّه ما شئت، يا أبا عبد الله.

قال: قد سمّيناه الموطأ، لأنّك توطأت لنا.

فحمل له دابة وبغلًا وخمسمائة دينار، فرد البهائم وقبل الدنانير.

وقال: ما كنت في مدينة رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، وفيها قبره لأحتاج إلى دابة، ورحل الرشيد إلى مكة، فأرسل إلى سفيان بن عيينة أحمل إليّ علمك،

---

(١) رواه أبو داود (٣/ ٣٥٤)، والترمذي (٤/ ١٥٣)، وابن ماجة (١/ ٨١)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٤٠)، (٥/ ١٩٦)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٥٠، ١٦٣، ١٦٧) عن ابن عمرو أنس وزر بن حبيش.

فحمل إليه، فلما قدم العراق كان الرشيد يقول: رحم الله مالكًا، توطأنا له فانتفعنا بعلمه، ورحم الله سفيانًا.

مقام أبي سعيد الأصمعي(١) بين يدي هارون الرشيد

قال: جاءني رسول هارون الرشيد، وقد ذهب من الليل شطره، فقال: أجب أمير المؤمنين، فأتيته، فإذا هو قاعد في أقصى مجلسه، وبين يديه دواة وقرطاس، وهو يبكي.

فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

قال: وعليك السلام يا ابن قريب. اجلس فجلست.

فقال: أبكاني هذا البيت وأسهرني ليلتي.

فقلت: لا أبكى الله عينك [إلّا من خشيته] يا أمير المؤمنين، وأيُّ بيت هو؟

قال: لله درُّ ابن آد بن مسلم إذ يقول عند موته. شعر:

لم أحتقب غير أبراد يمزقه ... ريب الزمان لطول العهد والقدمِ

فقلت: والله يا أمير المؤمنين، والله لقد صدقت، وهذا سبيل الناس جميعًا، وطوبى للمتقين.

قال: ويحك يا أبا سعيد، ذهب جلساء الخير ومجالس الفضل. أين من كان إذا جالسه المسرفون على أنفسهم وعظهم، وبلغ كل العلم والفضل؟

ثم قلت: إنْ أمرت أنْ أُحدثك بحديث وشعر قرىء على بعض القبور.

قال: هاته.

قلت: حدّثني من أثق به، قال: كنا في البحر، فمالت بنا السفينة إلى جزيرة، فإذا نحن بقصر شاهق إلى جانبه قبر وعلى القصر بابان، وبين القصر والقبر بستان فيه نخيل، لم أرَ شيئًا أحسن منها، وإذا على القبر مكتوب: شعر:

نؤمل دنيا لتبقى لنا ... فمات المؤمل دون الأملْ

وبات يروِّي أُصول النخيل ... فعاش النخيل ومات الرجلْ

---

(١) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن أصمع، من أكابر أئمة علم اللغة والشعر توفي سنة ٢١٦ هـ. وانظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٤١٠).

قال: وعلى باب القصر مكتوب: شعر:

وفتى كأنَّ جبينه قمر الدجى قامت عليه نوائح وأوايسُ
غرس النخيل مؤملًا لبقائه فنَمَا النخيل ومات عنه الغارسُ

وعلى إحدى بابي القصر مكتوب: شعر:

تلك المدائن في الآفاق حاوية أمست خلاء وذاق الموت بانيها
أين القرون التي عن حتفها غفلت حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

قال الرجل: فبقيت مبهوتًا متعجبًا، وجعلت أنظر إلى الشعر والقبر، والقصر والنخيل، وحسن الحديقة وتمثلت [بهذا البيت]:

باد رب الدار ذا الحرص الذي جمع الدنيا بحرص ما فعل

قال: وأجابني مجيب أظنه من داخل القصر وهو يقول: شعر:

كان في دار سواها داره عللته بالمنى حتى انتقل

قال: فلم يزل الرشيد يبكي ويصرخ، فلما أصبح أمر أنْ يخرج مال جليل ويصرف على الفقراء والمساكين، وأنْ يُدفع إليّ منه عشرة آلاف درهم من الدراهم البيض[١].

مقام الفضيل بن عياض (بين يدي هارون الرشيد)

رُوِيَ عن الفضل بن الربيع قال: بينما أنا ليلة بمكة، إذا سمعت قرع باب فقلت: مَن هذا؟

فقال: أجب أمير المؤمنين.

قال: فنزلت مسرعًا، فإذا أمير المؤمنين.

فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ لأتيتك.

قال: ويحك قد حلّ في نفسي شيء، فالتمس لي رجلًا أسأله.

فقلت: هٰهنا سفيان بن عيينة.

(١) انظر هذه القصة في: البيان والتبيين للجاحظ (١/ ١٣٢، ١٣٣)، وروضة العقلاء لابن حبان (ص ٢٥٦).

قال: امضِ بنا إليه.

قال: فأتيناه وقرعنا الباب.

فقال: مَن ذا؟

قلت: أجب أمير المؤمنين.

قال: فنزل مسرعًا وفتح الباب.

فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك.

فقال له هارون: خذ فيما جئناك له، يرحمك الله، فحادثه ساعة ثم قال له: أعليك دين؟

قال: نعم.

فقال: يا [أبا] العباس اقضِ دينه، ثم خرجنا.

فقال لي الرشيد: ما أغنى عني صاحبك شيئًا، ويحك التمس لي رجلًا [اسأله].

قلت: هٰهنا عبد الرزاق بن همام.

قال: امضِ بنا إليه، فأتيناه، فقرعنا الباب فخرج مسرعًا.

فقال: مَن هذا؟

قلت: أجب أمير المؤمنين.

فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلت إليَّ أتيتك.

فقال: خذ لما جئناك له، فحادثه ساعة ثم قال له: أعليك دين؟

قال: نعم.

قال: أبا العباس اقضِ دينه. فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئًا، انظر رجلًا اسأله.

قلت: [هٰهنا][1] الفضيل بن عياض.

قال: امضِ بنا إليه فأتيناه، فإذا هو يقرأ آية من الكتاب يرددها، فقال لي هارون: اقرع الباب، فقرعت الباب.

فقال: مَن ذا؟

---

(١) ما بين [ ] زيادة من حلية الأولياء (٨/١٠٦).

قلت: أجب أمير المؤمنين.

قال: ما لي وأمير المؤمنين.

فقلت: يا سبحان الله، أوَ ما عليك طاعته؟ أوَ ما سمعت ما رُوِيَ عن رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، أنّه قال: «ليس للمؤمن أنْ يذل نفسه»[١].

قال: فنزل وفتح الباب، ثم ارتقى بين أيدينا ففتح الغرفة، فأطفأ السراج وتنحى إلى زاوية فيها، فجعلت أنا وهارون نلتمسه بأيدينا.

قال: فسبقت كف هارون قبلي إليه.

فقال: أوّاه من كفٍ ما أسمنها إنْ نجت [غدًا] من عذاب الله، عزّ وجلّ فقلت في نفسي: ليكلمه الليلة بكلام نقي من قلب تقي.

فقال له الرشيد: خذ لما جئناك له، يرحمك الله.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه، لما ولي الخلافة أرسل إلى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيْوة.

فقال لهم: إني قد ابتليت بهذه الإمارة فأشيروا عليَّ.

فقال له سالم: إنْ أردت النجاة من عذاب الله تعالى فصم من الدنيا. وليكن إفطارك فيها [على] الموت.

وقال محمد بن كعب القرظي: إن أردت النجاة غدًا من عذاب الله فليكن أكبر المسلمين عندك أبًا، وأوسطهم عندك أخًا، وأصغرهم عندك ولدًا. فبر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك.

وقال رجاء بن حيْوة: إنْ أردت النجاة غدًا من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، وأكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت، فإني أقول لك: إني أخاف عليك أشد الخوف يوم القيامة، يوم تزل فيه الأقدام، أفمعك يا أمير المؤمنين مثل هؤلاء ممن يشير عليك بمثل هذا الرأي؟

قال: فبكى هارون الرشيد حتى غشي عليه.

فقلت له: أرفق يا أمير المؤمنين.

---

(١) رواه ابن ماجة (٢/ ١٣٣٢)، وأبو داود في «كنوز الحقائق» للمناوي (٢/ ١٨٤).

فقال ابن الربيع: أرفق أنت وأصحابك. فلما أفاق هارون. قال له: زدني رحمك الله.

فقال الفضيل بن عياض: بلغني أنّه كان لعمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه، عامل شكى إليه، فكتب إليه عمر، رضي الله عنه يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار، في النار، في خلود الأبد، فإنَّ ذلك يطرد بك إلى الرب، عزّ وجلّ، نائمًا، أو يقظانًا، وإياك أنْ ينصرف بك من عند الله، سبحانه وتعالى، فيكون آخر العهد ومنقطع الرجاء.

قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر.

فقال له عمر: ما أقدمك؟

قال: أزعجت قلبي بكتابك، فليس منه بدًّا ولست براجع.

قال: فبكى هارون وقال: زدني، رحمك الله.

فقال الفضيل: إنَّ العباس عم النبيّ، صلّى الله عليه وسلم، أتى إليه فقال: يا رسول الله أمّرني على إمارة، فقال له النبيّ، صلّى الله عليه وسلم: «يا عم نفسك فنجها خير من إمارة لا تحصيها، فإن الإمارة حسرة وندامة إلى يوم القيامة، فإنْ استطعت أنْ لا تتأمر على أحد فافعل».

فبكى هارون وقال: زدني رحمك الله، قال: وأنت يا حسن الوجه الذي يسألك الله عن هذه الأمة فإنْ استطعت أنْ تقي هذا الوجه من نار جهنم فافعل ذلك، وأنْ تمسي وتصبح وليس لأحد من رعيتك في قلبك غش، فإنَّ رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، قال: «من أصبح لهم غاشًا لم يرح رائحة الجنة».

قال: فبكى هارون الرشيد ثم قال: أعليك دين؟

قال: نعم، دين لربي، عزّ وجلّ، [لم يحاسبني عليه فالويل] لي إن سألني عنه والويل لي إنْ سألني عنه والويل لي إنْ ناقشني، والويل لي إنْ لم أُلهم حجتي.

فقال له هارون الرشيد: إنّما سألتك عن دين العباد.

قال: إنَّ ربي لم يأمرني بهذا، إنّما أمرني أنْ أُطيع أمره، وأُصدق وعده إذ قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات: الآيتان ٥٦، ٥٧].

قال هارون الرشيد: هذه ألف دينار خذها وأنفقها على عبادة ربك.

قال: يا سبحان الله، أنا أدُلُّك على النجاة ثم تكافئني بمثل هذا سلَّمك الله ووفقك. ثم صمت فلم يعد يتكلم.

قال: فخرجنا، فلما كان هارون الرشيد في الدرج التفت إليَّ وقال: يا [أبا] العباس إذا دللتني فدلني على مثل هذا، والله هو سيد المسلمين اليوم. فبينا نحن بالباب إذا دخلت عجوز فقالت للفضيل: يا هذا قد ترى حالنا وما نحن فيه، فلو أخذت هذا المال لأفرحتنا به، ونحن نسمع.

فقال لها الفضيل: مَثَلي وَمَثَلُك كمثل قوم كان لهم بعير فأكلوا كدَّه، وكانوا يكدُّونه، فلما كبر وسقط عن العمل أكلوا لحمه.

فقال هارون الرشيد ارجع بنا فعسى يقبل المال. فلما أحس بنا خرج من الغرفة، فجعل هارون الرشيد يكلمه فلا يجيبه بشيء، فبينما نحن نكلمه إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا قد آذيت الشيخ هذه الليلة فانصرف رحمك الله.

قال: فخرجنا من الزاوية.

مقام آخر له معه أيضًا

روى حامد بن أسد قال: لما خرج الرشيد يريد الحج وصار بمكة قال لسفيان بن عيينة: إني أُحب أنْ ألقى الفضيل بن عياض.

فقال: يا أمير المؤمنين إنَّه إنْ علم بمكانك لم يظهر لك، ولكن أصير معك إليه وأستأذن عليه، فإنَّه يسكن إليَّ، وتدخل معي حتى تراه. فأتينا الباب، فلما استأذن عليه سفيان أذن له.

فقال سفيان: ومَن معي؟ فسكت ساعة ثم قال: ومَن معك.

قال سفيان: هذا أمير المؤمنين.

فقال: يا جميل الوجه، لقد ملكت الدنيا بأسرها فاشترِ منه نفسك ببعضها.

فقال له الرشيد: عظنا.

فقال الفضيل: حدّثني المكتب عن المجاهد في قوله، عزّ وجلّ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦٦] .

قال: هي الوسائل والمودّات التي كانت بينهم في الدنيا.

قال: فبكى الرشيد وقال: أنت زاهد حقًا.

قال الفضيل: أنت أزهد مني يا هارون.

قال الرشيد: ما ترى من زهدي وأنا فيما ترى من أسباب الدنيا؟

قال: إنَّما زهدت فيما يبقى، وزهدت فيما يفنى، فأنت زاهد لا أنا يا هارون[١].

مقامات العلماء بين يدي المأمون

مقام إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة[٢]

روى محمد بن يحيىٰ المازني عن عبدان بن محمد العسكري عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة.

قال: لما ودعت المأمون قال: يا إسماعيل عظني.

فقال: جعل الله عند أمير المؤمنين فهمًا وعلمًا يستغني بهما عما عندي.

قال: يا إسماعيل عظني.

قلت: يا أمير المؤمنين، بينما الشعبي مع ابن الزبير إذ قال له: عظني يا شعبي.

فقال: إنَّك على فعل ما لم تفعل أقدر منك على رد ما فعلت.

قال: صدقت[٣].

مقام بعض القدماء بين يديه

قال أبو عبد الرحمٰن بن الحسن اللخمي، قال يحيىٰ بن أكثم القاضي:

قال لي المأمون: إني أُحب أنْ أرى بشر بن الحارث.

فقلت: إذا شئت يا أمير المؤمنين.

---

(١) انظر هذه الحكاية في: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٢١٥).

(٢) هو أبو حيان إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة النعمان بن ثابت، القاضي، توفي سنة ٢١٢ هـ. وانظر: أخبار القضاة لوكيع (٢/ ١٦٧)، وتاريخ بغداد (٦/ ٢٤٣).

(٣) انظر هذه الحكاية في: بهجة المجالس (١/ ٣٤٧).

فقال: الليلة، ولا يكون معنا ثالث، فركبنا وكان بشر يجلس في دهليزه فنزل يحيىٰ بن أكثم، فقرع الباب.

فقال بشر: مَن هذا؟

قال: مَن يجب عليك طاعته.

قال: وأيّ شيء يريد.

قال: يحبّ لقاءك.

قال: طائعًا أم مكرهًا؟ ففهم المأمون وقال ليحيىٰ انصرف بنا، فما في هذا الشيخ مطمع، فإنا إنْ قلنا له: مكرهًا فلم نجيء لنكرهه.

فمرّا على رجل يقيم الصلاة للعشاء الآخرة، فدخلا يصليان فإذا الإمام حسن القراءة، فلما أصبح المأمون وجه إليه وجاء به، وجعل يناظره في الفقه ويخالفه [بشر] ويقول: القول في هذه المسألة خلاف هذا فغضب المأمون، فلما كثر خلافه قام على رجله وقال [بشر] كأني بك تمضي إلى أصحابك وتقول: خطأت أمير المؤمنين.

فقال: يا أمير المؤمنين والله إني لأستحي من أصحابي أنْ يعلموا أني قد جئتك.

فقال المأمون: الحمد لله الذي جعل في رعيتي من يحتجب عني إذا جئته، ويستحي أنْ يجيئني. ثم سجد لله شكرًا.

مقام أحمد بن يوسف(١)

قال المأمون لأحمد بن يوسف: إن أصحاب الصدقات قد تظلموا منك.

قال: إنهم ما رضوا عن رسول الله، صلّى الله عليهم وسلم، حتى أنزل فيهم:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [التوبة: الآية ٥٨].

فقال المأمون: صدقت والله وأحسنت النظر.

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن صبيح الكوفي، أحد الفصحاء والشعراء البلغاء توفي سنة ٢١٣ هـ، وانظر: الأغاني (١٣٨/٢٠)، وتاريخ بغداد (٢١٦/٥).

مقام عمرو بن مسعدة[(١)] وصالح العباسي والحجاج بن خيثمة وثمامة[(٢)]

قال المأمون يومًا لأهل مجلسه: ما جهد البلاء؟

فقال عمرو بن مسعدة: طول ليلة الساهر، من خوف ذي البطشة القاهر.

وقال صالح العباسي: جهد البلاء. زوال النعمة، وانتهاك الحرمة.

وقال الحجاج بن خيثمة: جهد البلاء: من غضبت عليه ولا تقبل له عذرًا، ولا تعده صفحًا، فلا أرض تقله، ولا سماء تظله، والليل لا يجنه، والنهار لا يكنه.

وقال ثمامة: جهد البلاء: عالم يجري عليه حكم جاهل.

فقال المأمون: هذا هو جهد البلاء يا ثمامة.

مقام السيد ابن أنس

قال له المأمون: أنت السيد ابن أنس؟

فقال: السيد أمير المؤمنين، وأنا ابن أنس.

فاستحسن كلامه وأدبه وأوصله.

مقام النضر بن شميل[(٣)]

قال الأستاذ أبو القاسم بن الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري: سمعت أبا حبيب زيد بن المهتدي يقول: سمعت أحمد بن الحسين بن النضر بن شميل المازني يحكي عن أبيه عن جده النضر بن شميل المازني.

قال: دخلت على المأمون [بمرو] وعليّ أطمار رثة.

فقال [لي]: أيدخل أحد على الخليفة بمثل هذه الأطمار الرثة.

---

(١) هو أبو الفضل عمرو بن مسعدة بن سعيد بن الصولي الكاتب، المتوفى سنة ٢١٧ هـ. وانظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٢٠٣)، وفيات الأعيان (٣/ ١٤٥).

(٢) هو أبو معن ثمامة بن أشرس النميري المعتزلي المحدث قتله الخزاعيون في طريق مكة سنة ٢١٢ هـ. وانظر: تاريخ بغداد (٧/ ١٤٥)، ميزان الاعتدال (١/ ٣٧١).

(٣) هو أبو الحسن النَّضر بن شميل بن خرشة بن زهير السُّكيت التميمي، محدث أديب لُغوي. انظر: الأغاني (١٥/ ٤٤)، وفيات الأعيان (٥/ ٣٣).

فقال: أيّدك الله يا أمير المؤمنين، إنّه حرُّ مرو، لا يدفع إلّا بمثل هذه الأطمار، فأنّا أتبرّد بها.

فقال المأمون: [كلا ولكنك قشف في عيشك، قال: فتجارينا في الحديث.

فقال المأمون]: حدّثني هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس عن النبيّ، صلّى الله عليه وسلم، أنّه قال:

«إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سَدادٌ من عَوَز».

فقال النضر بن شميل: [صدق هشيم].

فقلت: حدّثنا ابن أبي عون عن الحسن عن ابن عباس عن النبيّ، صلّى الله عليه وسلم، أنّه قال:

«إذا تزوج الرجل امرأة لدينها أو جمالها كان في ذلك سِدادٌ من عَوز».

قال: وكان المأمون متكئًا فاستوى جالسًا وقال: أتلحنني يا نضر؟

قال: لا، وإنما لحن هشيم، وكان لحّانة.

قال: فهل تعرف العرب هذا؟

قال: نعم.

قال: حمزة بن أبيض، والصحيح أنّه للعرجي بن عثمان، حيث يقول[1]:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسِداد ثغر

فقال المأمون: قبح الله من لا أدب معه. ثم قال: أنشدني أجزل بيت قالته العرب.

قلت هذا منصور يقول[2]:

تقول لي والركاب واقفة ... أقم لدينا يومًا فلم أقم

قالت فمن ينتجع فقلت لها ... وأيُّ وجه إلّا إلى الحكم

متى يقل صاحبًا سرادقه ... هذا ابن بيض بالباب يبتسم

فقال: أحسنت يا نضر ثلاثًا، كأنّما شق لك عن قلبي.

---

(١) البيت في «ديوانه» (ص ٣٤).

(٢) انظر: العمدة لابن رشيق (٢/ ١٤١) وقد نسبه إلى حمزة بن بيض بنحوه.

فأنشدني أقنع بيت قالته العرب.

قلت: هذا راعي الإبل يقول وقد حاول طلب الرزق:

أطلب ما يطلب الكريم من الـ ـمال لنفسي وأجمل الطلبا
وأحلُب الدِّرّة الصَّفيّ ولا أطلب أخلاف غيرها حَلَبا
إني رأيت الفتى الكريم إذا رغبته في صنيعة رَغِبَا
والنَّذْلُ لا يطلب العَلاءَ ولا يعطيك شيئًا إلّا إذا رَهِبا

قال: أحسنت يا نضر، فأنشدني أنصف بيت قالته العرب.

قلت: هذا ابن أبي عروة يقول:

إني وإن كان ابن عمي كاشحًا لمزاحم من خلفه وورائه
وأكون مولى سره وأصونه حتى يخير علي وقت أدائه
وإذا دعا باسمي لأركب مركبًا صعبًا ركبت له على سيسائه
وإذا رأيت عليه ثوبًا ناعمًا لم تلفني متمنيًا لردائه[1]

قال: أحسنت يا نضر، ثم مد يده إلى دواته وكتب شيئًا، ثم قال لي: يا نضر كيف تقول إذا أُمرتَ أنْ تترِّب كتابًا؟

قلت: أَتربْه.

قال: فهو ماذا؟

قلت: مترب.

قال: ومن الطين؟ قلت: طِنْه.

قال: فهو ماذا؟

قلت: مَطِين.

[قال: فمن السّحاءة؟

قال: قلت: أَسْحُه.

قال: فهو ماذا؟

قلت: مسحيٌّ ومسحوٌّ.

(١) انظر: ديوان الراعي النميري (ص ٢٦٥).

قال: يا غلام، أتربه وطنه واسح][1].

ثم ناول الكتاب الخادم فمضى بنا إلى الفضل بن سهل، فقام وقرأه وقال: ما السبب الذي وصلك به أمير المؤمنين؟ فأخبرته بذلك.

فقال لي: لحَّنتَ أمير المؤمنين وأمر لك بثلاثين ألف درهم.

قلت: نعم[2].

مقام إبراهيم بن المهدي[3] بين يدي المأمون

قيل: لما استقرت الخلافة لأبي عبد الله المأمون، دعا إبراهيم بن المهدي المعروف بابن شَكْلة، فوقف بين يديه.

فقال: يا إبراهيم أنت الذي تدعي الخلافة؟

فقال: يا أمير المؤمنين، أنت الولي البار، الحليم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، وقد جعلك الله فوق كل ذي عفو، كما جعل كل [ذي] ذنب دونك، فإن أخذت أخذت بحق، وإن عفوت عفوت بفضلك.

ولقد حضرت أبي وهو جدك، وقد أتى له رجل كان جرمه أعظم من جرمي، فأمر بقتله، وعنده المبارك بن فضالة.

فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يتأنى في أمر هذا الرجل حتى أُحدثه بحديث سمعته.

قال: إيه يا مبارك.

قال: حدّثنا الحسن، أن رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بُطنان العرش: ألا ليقومن العافون من الخلفاء إلى أكرم الجزاء فلا يقوم إلّا من عفا»[4].

---

(١) ما بين [ ] زيادة من مجالس العلماء (ص ١٩٧).

(٢) انظر: الأغاني (١٥/ ٤٥).

(٣) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن المهدي بن المنصور أخو الرشيد ـ كان خليفة لبغداد سنتين. وتوفي سنة ٢٢٤ هـ. وانظر: تاريخ بغداد (٦/ ١٤٢).

(٤) رواه الخطيب في «تاريخه» (٦/ ١٤٥)، وابن عساكر في «التاريخ» (١/ ٣٤ الجامع الصغير) وضعفه السيوطي.

فقال الخليفة: إيه يا مبارك، فقد قبلت الحديث بقوله وعفوت عنه.

أخرج أيُّها الرجل فلا سبيل لأحد عليك، وأطلقه.

فقال المأمون: وأنا أيضًا قد قبلت الحديث بقوله، وعفوت عنك وعما بدا منك، يا عم إليَّ هٰهنا، يا عم إليَّ هٰهنا، وقرَّبه وأدناه، وأجلسه إلى جانبه[1].

مقام آخر له أيضًا

قيل: لما ظفر بإبراهيم بن المهدي.

قال المأمون: إني شاورت في أمرك أرباب دولتي فأشاروا بقتلك، وإني وجدت قدرك فوق ذنبك، وكرهت القتل للواجب من حرمتك.

فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين لقد نصح المشير، لما جرت به العادة في السياسة، إلّا أنك أبيت أن تطلب النصر إلّا من حيث عودته من العفو، فإن عاقبت، أو عفوت فلا نظير لك، لأنَّ جرمي أعظم من أن أنطق فيه بالمعذرة، وعفو أمير المؤمنين أجلُّ من أن يستغني به الشكر.

فقال المأمون: ذهب الحقد، ذهب الحقد، ثم التفت المأمون إلى أصحابه وأنشد:

أي شـي مـن الـجـنـا ... يـة أبـقـى مـن اعـتـذر
قـد مـحـا الـعـذر مـا مـضـى ... وحـوى الـجـود مـن غـفـر[2]

مقام القاضي يحيىٰ بن أكثم[3]

لما أراد المأمون أن يولي يحيىٰ بن أكثم قضاء البصرة، وكان الخلفاء لا يعقدون لأحد بالقضاء حتى يختبروه بالفرائض وأبواب من الفقه، وقيل: إنهم كانوا يسألون عن الجد والنسب كثيرًا.

قال: فأدخل على المأمون، يحيىٰ بن أكثم، فاحتقره، ولم يسأله عن شيء.

---

(١) انظر: أمالي القالي (١/ ١٩٩)، والعقد الفريد (٢/ ١٨٩) وتاريخ بغداد (٦/ ١٤٤).
(٢) انظر: عيون الأخبار (١/ ١٠٠)، والمصباح المضيء (١/ ٤٩٩)، والعقد الفريد (٢/ ١٤٨).
(٣) قاضي القضاة يحيىٰ بن أكثم التميمي الأسيدي المروزي توفي سنة ٢٤٢ هـ. وانظر: أخبار القضاة لوكيع (٢/ ١٦١) وتاريخ بغداد (١٤/ ١٩١)، وطبقات الحنابلة (١/ ٤١٠).

فقال: سل يا أمير المؤمنين، إن كان المقصود علمي لا خَلْقي.

فقال: ما تقول في أبوين وابنتين لم تقسم التركة حتى مات أحدهما وخلف من خلف؟

فقال يحيىٰ: الميت الذي ترك الأبوين والبنتين كان رجلًا، أو امرأة؟ فعلم المأمون أنَّه قد عرف المسألة، فأمر بكتبة عهده على البصرة [وأن يمكنوه من القضاء] وأبى يحيىٰ الانحدار إليها.

وهذا السؤال مبهم لأنَّه يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون الميت رجلًا، ففريضته من ستة أسهم، للأبوين سهمان، ولكل بنت سهمان، فلما مات أحدهما خلَّف جدًا، أو جدَّة من قبل أبيهما، فعلى قول من جعل الجد كالأب فريضتها من ستة، للجدة السدس والباقي للجد.

مقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام(١)

روى أبو سعيد الخدري قال: حججنا مع عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فلما أخذ في الطواف واستقبل الحجر الأسود قبَّله، ثم قال: إني أعلم أنَّك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، يقبلك لما قبلتك، ومضى.

فقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام: بل يضر وينفع يا أبا حفص.

قال: بِم؟

قال: بكتاب الله، عزّ وجلّ.

قال: وأين ذلك من كتاب الله؟

قال: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢].

---

(١) هو رابع الخلفاء الراشدين وابن عم سيد المرسلين، وهو الغني عن التعريف لما حباه الله من الكرم والتشريف، وانظر في ترجمته: خصائص الإمام علي للنسائي، والرياض المستطابة (١٦٣)، طبقات ابن سعد (٤/١٢٠٦، ١٨٩)، الزهد لوكيع (١٠١٤)، الرياض النضرة (١/ ٢٠١)، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤) بتحقيقنا، التاريخ الصغير للبخاري (٥/ ٤٣٥)، حلية الأولياء (٢/ ٨٧)، صفة الصفوة (١/ ٣٠٨)، أسد الغابة (٣٧٨٩).

خلق الله تعالى، آدم ومسح يده على ظهره، فأخرج من ظهره ذريته يقررهم بأنّه الرب وأنهم العبيد، وأخذ عهودهم ومواثيقهم، وكتب ذلك في رق، وكان لهذا الحجر عينان ولسانًا، فقال: افتح فاك، ففتح فاه، فألقمه ذلك الرق وقال: اشهد لمن وافاك يوم القيامة، فهو يضر وينفع.

فقال عمر، رضي الله عنه: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم، يا أبا الحسن، جزاك الله خيرًا[١].

مقام أبي هريرة[٢]

رُوِيَ عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: كنت مع عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في طريق مكة إلى الحج، إذ أخذت الناس الريح الشديدة.

فقال عمر، رضي الله عنه، لمن كان حوله: ما الريح؟ فلم يرد عليه أحد الجواب. فبلغني الذي سأل عنه من ذلك، فحثثت راحلتي حتى أدركته.

فقلت: يا أمير المؤمنين إنّك سألت عن الريح، فإني سمعت رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، يقول:

«الريح من روح الله تعالى، تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها، واسألوا الله تعالى خيرها، وتعوذوا به من شرها»[٣].

فقال: أفادك الله.

مقام سعيد بن عامر[٤]

قيل: كان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إذا ولى عاملًا علّق نعليه بيده

---

(١) أورد هذا الخبر ابن الجوزي في مناقب الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ص ١١٤) ط الخانجي.

(٢) هو صاحب رسول الله ﷺ، أبو هريرة الدّوسي قال ابن عبد البر: اختلفوا في اسم أبي هريرة، واسم أبيه اختلافًا كثيرًا، لا يُحاط به ولا يضبط في الجاهلية والإسلام، وانظر: الكاشف للذهبي (٣/ ٣٨٥)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٢٦٢)، والإصابة (١٠٦٨٠)، وأسد الغابة (٦٣٢٦)، والاستيعاب (٤/ ٣٣٢).

(٣) رواه أبو داود (٤/ ٤٨٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٨)، وابن ماجة (٢/ ١٢٢٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٨٥). وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) هو سعيد بن عامر بن حَذِيم بن سلامان بن ربيعة القرشي الجمحي، ولّاه عمر بعض أجنادِ الشام، وكان زاهدًا، تُوفي سنة ١٩ هـ، وقيل: ٢٠ هـ، عن أربعين سنة. وانظر: الثقات=

وخرج معه يوصيه، فلما ولي سعيد بن عامر فعل مثل ذلك، حتى انتهى إلى الموضع وأراد أن يفارقه، قال له سعيد: يا أمير المؤمنين، وأنت أيضًا فاخش الله تعالى في الناس، ولا تخشى الناس في الله، وأحب لأهل الإسلام ما تحب لنفسك وأهل بيتك، وأقم وجهك لمن استرعاك من قريب المسلمين وبعيدهم، والتزم أمر ذي الحجة، يعينك الله على ما ولّاك، ولا تأخذك في الله لومة لائم.

فقال عمر: ويحك يا سعيد من يقدر ومن يطيق هذا؟[1]

قال: مَن وضع الله في عنقه مثل ما وضع في عنقك، وولّاه ما ولّاك، ما هو إلا أن تأمر فتطاع، أو تترك فتكون عليك الحجة البالغة في الدنيا والآخرة.

مقام الحسن والحسين عليهما السلام

قيل: لمّا وُلِّيَ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، حمل إليه مال ليفرقه على المسلمين.

قال: فبدأ بالحسن والحسين، عليهما السلام، فالتفت عبد الله بن عمر إلى أبيه فقال: يا أبتي أنا أحق أن تقدمني بالعطية عليهما، لمكانك من الخلافة.

فقال عمر: هل لك أبٌ كأبيهما، أو جدٌّ كجدهما، أو أمٌّ كأمهما حتى أُقدمك في العطية عليهما.

فأعادا ذلك على أمير المؤمنين علي، رضي الله عنه، فالتفت إليهما وقال: فرحا من فرحكما، فإني سمعت رسول الله، ﷺ، يقول عن جبريل عن الله، عزّ وجلّ: «إنَّ عمر سراج أهل الجنة»[2].

قال: فجاءا وبشّراه بذلك ففرح فرحًا شديدًا، فقال: خذا بهذا الذي ذكرتما خط أبيكما، فأخذا خطه بذلك، فلما قبض عمر، رضي الله عنه، قال لولده: إذا أنا مت فادفنوا معي خط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام، ففعلوا.

= (٣/ ١٥٥)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٤٢)، التاريخ الصغير (١/ ٨)، والتاريخ الكبير (٣/ ٥٣)، أسد الغابة (٢٠٨٤)، الإصابة (٣٢٨٠).

(١) انظر هذا المقام في (حلية الأولياء ١/ ٢٤٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٣٣)، والمعرفة ـ بتحقيقنا ـ وأورده ابن الجوزي في «مناقب عمر» (ص ٢٣).

مقام كعب الأحبار[١] بين يدي عمر بن الخطاب

سأل عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، كعبًا عن التقوى.

فقال: هل سلكت أرضًا ذات شوك؟

فقال: نعم.

فقال: ماذا صنعت يا أمير المؤمنين؟

فقال: حذرت وسهرت.

فقال: هذا هو التقوى يا ابن الخطاب، أن تحذر وتسهر.

فقال: صدقت.

مقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرّم الله وجهه)

يقال: أنَّ يهوديًا جاء إلى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بثلاث جماجم، فقال: يا عمر هذه جمجمة والدي وولدي وأخي، وأنَّ محمدًا، يعني رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، قال: إنه تحرق جماجم الكفار في القبر، فلو كان هذا حقًّا لوجب أن تكون هذه الجماجم محترقة.

فقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، لعمر: أتأذن لي في جوابه، فقال: أجبه يا أبا الحسن، فدعا أمير المؤمنين علي بمقدحة وحجر، فقدح فوري الزند، ثم قال: يا يهودي، فيها نار ولم يظهر أثرها، لأنّها في وسطها، كذلك الكفار تحترق من الباطن دون الظاهر. فقال اليهودي أنا أسلم على يدك يا أمير المؤمنين وقد تشاهد على يده.

مقام أويس القرني[٢] مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)

حدّثنا أبو محمد عبد الرحمٰن بن عمر بن نضر بن إبراهيم الهمداني، قال:

---

(١) هو من كبار التابعين وعلمائهم، كان يهوديًا فأسلم على يدي الصديق والفاروق، توفي في خلافة عثمان سنة ٣٢ هـ. وانظر: طبقات ابن سعد (٢/١٥٦)، حلية الأولياء (٥/١٦٤)، والإصابة (٣/٣١٥).

(٢) هو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني، أدرك النبيّ صلّى الله عليه ولم يره. وانظر: مسند أحمد (١/٣٨)، وميزان الاعتدال (١/٢٧٨)، والسير للذهبي (٤/١٩، ٣٣)، وحلية الأولياء (٢/٧٩).

حدّثنا أبو إسحٰق إبراهيم بن علي بن مالويه الساوي قال: حدّثنا محمد بن خالد بن زيد، قال: حدّثنا أبو الحسن علي بن الحسن، قال: حدّثنا محمد بن أيوب عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال: بينما النبيّ، صلّى الله عليه وسلم، بفناء الكعبة إذ نزل جبريل، عليه السلام في صورة لم ينزل عليه بمثلها قط، فقال عليه السلام: يا محمد ربك يقرئك السلام، ويقول لك: إنه سيخرج في أمتك رجل يشفع فيشفعه الله، عزّ وجلّ، في عدد ربيعة ومضر، فإن أدركته فاسأله الشفاعة لأمتك فقال النبيّ، صلّى الله عليه وسلم: يا جبريل ما اسمه، وما صفته، قال: اسمه أويس القرني، وأمّا صفته، فهو رجل أصهب، مقرون الحاجبين، أدعج العينين، في كتفه الأيسر وضح أبيض، وقبيلته من اليمن من مراد. قال: فلم يزل النبيّ، صلّى الله عليه وسلم، يطلبه ولم يقدر عليه، فلما قبض أوصى أبا بكر وأخبره بخبر أويس القرني وقال له: إن أدركته فاسأله الشفاعة لك ولأمتي، فلم يزل أبو بكر يطلبه فلم يقدر عليه، فلما احتضر أبو بكر أوصى عمر وأخبره الخبر وقال له: إن أدركته فاسأله الشفاعة لك ولأمة محمد، صلّى الله عليه وسلم، فلم يزل يطلبه حتى كان في حجة حجها عمر وعلي، رضي الله عنهما، إذ أتى رفاق اليمن فنادى عمر بأعلى صوته، يا معشر الناس هل فيكم أويس القرني، أعادها مرارًا، فقام شيخ من أقصى الرفاق فقال: يا أمير المؤمنين هو ابن أخي، هو أحمدنا أمرًا، وأهون ذكرًا، من أن يسأل مثلك عن مثله، فأطرق عمر طويلًا ثم قال: أيها الشيخ ابن أخيك في حرمنا هذا، قال الشيخ: هو في وادي الأراك بعرفات، قال: فركب عمر وعلي حماريهما حتى أتيا الوادي فإذا هما برجل كما وصفه النبيّ، صلّى الله عليه وسلم، وجبريل، عليه السلام، أصهب، مقرون الحاجبين، أدعج العينين، رام بذقنه على صدره، شاخص ببصره إلى موضع سجوده قائم يصلي، وهو يتلو القرآن، فدنوا منه، فقالا له لما فرغ من صلاته: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فرد عليهما، فقال له عمر، رضي الله عنه: مَن أنت يا عبد الله؟ فقال: عبد من عبيد الله، قال له علي، كرّم الله وجهه: قد علمنا أنَّ أهل الأرض والسماء كلهم عبيد لله تعالى، قال: أنا راعي إبل وأجير قوم، قال له علي: لم نسألك عن هذا، ولا عن الرعاية، ولا الإجارة، بل سألناك بحق حرمنا هذا إلا أخبرتنا باسمك الذي سماك والدك، قال: أنا أويس القرني، قال له علي: يا أويس إنَّ رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، ذكر في كتفك الأيسر وضح أبيض، فأوضح لنا عن ذلك، فأراهما إياه، فأقبل عمر وعلي يقبلانه، قال علي: يا أويس إنّ رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، ذكر أنّك سيد التابعين وأنّك تشفع فتشفع في عدد ربيعة

ومضر، فقال له أويس: فعسى أن يكون ذلك غيري، قال عليّ: قد أيقنا أنّك هو، قال: فرفع رأسه إلى السماء ثم قال: اللهم إنَّ هذين ابني يحباني فيك فاغفر لهما وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، ثم إن عمر قال: أين الالتقاء بيني وبينك، فإني أراك رث الحال حتى آتيك بكسوة ونفقة من رزقي، قال له أويس: هيهات هيهات إنَّ بيني وبينك عقبة كؤود لا يجاوزها إلا كل ضامر عطشان مهزول، أما ترى يا عمر أنَّ عَليَّ إزارين من صوف ونعلين مخصوفين، ومعي نفقة، ولي على القوم حساب، فمتى آكل هذا؟ ومتى يبلى هذا؟ فأخرج عمر الدرة ثم قال: يا معشر المسلمين من يأخذ مني الخلافة بما فيها؟ فقال أويس: من جدع الله أنفه يا أمير المؤمنين قال له عمر: والله ما بكّيت صغيرًا، ولا ظلمت كبيرًا، ولا أكلت حمى أرض، فقال أويس: يا عمر جزاك الله خيرًا عن هذه الأمة، وأنت يا علي فجزاك الله عن هذه الأمة خيرًا تعيشان حميدين وتموتان شهيدين، فقالا له: أوصنا بحاجتك يرحمك الله، قال: أوصيكما بتقوى الله والعمل بطاعته والصبر على ما أصابكما، فإنَّ ذلك من عزم الأمور، وأوصيكما أن تلقيا هرم بن حيان فتقرآنه مني السلام وتخبراه أني أرجو أن يكون رفيقي في الجنة، ثم ودّعاه. ولم يزل عمر وعلي يطلبان هرم بن حيان، فبينما هما في مسجد رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، إذا هما بهرم قائم يصلي، فانتظراه، فلما انصرف سلّما عليه فرد عليهما [السلام] ثم قال لهما: من أين جئتما؟ قالا: جئنا من عند أويس القرني. وهو يقرؤك السلام ويقول لك: أرجو أن تكون رفيقي في الجنة، فلم يزل هرم يطلب أويس القرني، فبينما هو في الكوفة على شاطىء الفرات إذا هو برجل أصهب مقرون الحاجبين أدعج العينين، وعليه طمران من صوف فدنا منه هرم بن حيان، فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فرد عليه أويس السلام، ثم قال هرم: كيف الزمان عليك، قال أويس: كيف الزمان على رجل إذا أصبح يقول: لا أمسي، وإذا أمسى يقول: لا أُصبح، يا أخي إنَّ الموت وذكره لم يترك للمؤمنين صديقًا، قال له هرم: إني عرفتك بصفة عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، فمن أين عرفتني أنت؟ قال أويس: «إنَّ الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»[1] ثم قال له أويس: اتل عليَّ آية من كتاب الله، عزّ وجلّ، فقرأ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٦] .

---

(١) حديث صحيح: رواه مسلم (٢٦٣٨)، وأبو داود (٤/ ٤٠٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٥، ٥٩٧)، عن أبي هريرة مرفوعًا.

قال: فخرّ أويس القرني مغشيًا عليه، فلما أفاق قال له هرم: إني أريد أن أصحبك وأكون معك، قال: لا يا هرم ولكن إذا مت لا يكفنني أحد حتى تأتي أنت فتكفنني وتدفنني، ثم افترقا، فلم يزل هرم في طلب أويس حتى دخل مدينة من مدائن الشام يقال لها دمشق، فإذا هو ملفوف في عباءة ملقى في صحن المسجد، فدنى منه فكشف عنه فعرفه وهو ميت، قد وضع يده على رأسه، فصاح وا أخاه هذا ولي الله تعالى، مات ضعيفًا ضائعًا فقالوا له: ومن أنت يا عبد الله؟ ومن هذا الرجل؟ قال: أنا هرم بن حيان المرادي، وهذا أويس القرني، ولي الله تعالى، قالوا: إنا جمعنا له ثمن ثوبين نكفنه فيهما، فقال لهم هرم بن حيان ليس له بثوبيكما حاجة ولكن يكفنه هرم بن حيان من ثيابه، قال: ثم ضرب هرم يده في مزوده، فإذا هو بثوبين لم يكن له بهما عهد، على أحدهما مكتوب: بسم الله الرحمٰن الرحيم، براءة من الله الرحمٰن الرحيم لأويس القرني من النار، وعلى الآخر مكتوب: هذا كفن أويس القرني من لباس الجنة رضي الله تعالى عنه ورحمه آمين(١).

مقام أسقف نجران بين يدي عمر بن الخطاب

قيل: قدم أسقف نجران في زمن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ أرضنا باردة شديدة المؤونة لا تحتمل الجيش، وأنا ضامن لخراج أرضي أن أحمله إليك كل عام كملًا.

قال: فكان [يقدم] هو بنفسه وبالمال، ومعه أعوان له حتى يوفيه بيت المال، ويعطيه عمر البراءة.

---

(١) رواه مسلم (١٩٦٨/٤)، وأحمد في «المسند» (٣٨/١)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ١١١)، وابن حبان في «المجروحين» (٢٩٧/٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٢/٣)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٤٣/٢)، وابن أعثم في «الفتوح» (٤٥١/٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧٩/٢)، وأورده الذهبي في «الميزان» (٢٧٨/١). و«السِّير» (١٩/٤، ٣٣)، و«تاريخ الإسلام» (١٧٣/٢)، وابن الأثير في «الأسد» (١٧٩/١)، مختصرًا وتامًا، بألفاظ مختلفة ومتقاربة. وقال ابن حبان في الحديث الطويل عن أويس: «هذا خبر لا أصل له عن رسول، ولا ابن عمر أسنده ولا نافع حدث به ولا مالك رواه. وقال ابن الجوزي: قد وضعوا خبرًا طويلًا في قصة أويس من غير هذا الطريق، وإنما يصح عن أويس كلمات يسيرة جرت له مع عمر...» قلت: ومن الصحيح في خبر أويس رواية مسلم عن أسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل منهم كان يسخر بأويس فقال عمر: هل هنا أحد من القرنيين؟ فجاء ذلك الرجل...».

قال: فقدم الأسقف ذات عام، وكان شيخًا جميلًا نظيف البزة، لائق الشكل، فدعاه عمر، رضي الله عنه، إلى الله، عزّ وجلّ، وإلى أمر رسوله، صلّى الله عليه وسلم، وكتابه، وذكّره فضل الإسلام، وما يصير إليه المسلمون من النعيم السرمد، والكرامة الدائمة.

فقال له الأسقف: يا عمر أنتم تقرؤون في كتابكم أن لله، عزّ وجلّ، جنة عرضها كعرض السماء والأرض، فأين تكون النار يا أمير المؤمنين؟

قال عمر: أنا أُجيبك وأُنبئك عما سألت عنه. يا أسقف.

أرأيت إذا جاء الليل أين يكون النهار؟

فإذا جاء النهار أين يكون الليل؟

فقال الأسقف: ما كنت أرى أنَّ أحدًا يجيبني عن هذه المسألة.

ولكن أخبرني يا عمر عن بقعة من الأرض طلعت عليها الشمس ساعة ولم تطلع قبلها ولا بعدها؟

قال له عمر: هو البحر حين انفلق لبني إسرائيل، فوقعت عليه الشمس، ولم تقع قبله ولا بعده.

قال الأسقف: صدقت.

أخبرني عن شيء في يد أهل الدنيا يأخذون منه كلهم ولا يفنى؟

قال عمر: هو القرآن، مثل ثمار أهل الجنة، يجتمع عليه أهل الدنيا فيأخذون منه حاجتهم ولا ينقص منه شيئًا، وكذلك ثمار أهل الجنة.

قال الأسقف: صدقت، أخبرني هل للسمٰوات من قفل أم لا؟

قال عمر: نعم لها قفل، وقفلها الشرك بالله، عزّ وجلّ.

قال الأسقف: صدقت يا أمير المؤمنين.

فأخبرني ما مفتاح ذلك القفل؟

قال: مفتاحه شهادة أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له[1]، لا يحجبه شيء من دون العرش حتى يبلغ إلى الحق تعالى شأنه.

---

(١) روى أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٢)، والبزار في «مسنده» (٢٦٦٠)، والطبراني في «الدعاء»=

مقام عبد الله بن عباس[١] بين يدي عمر بن الخطاب

روى إبراهيم التيمي عن عبد الله بن عمر، قال: خلا عمر، رضي الله عنه، ذات يوم فجعل يحدث نفسه، أتختلف هذه الأمة ونبيها واحد، وقبلتها واحدة؟

فقال ابن عباس، رضي الله عنه، يا أمير المؤمنين، إنَّا أُنزل علينا القرآن، وعلمنا فيمن نزل، فإنَّه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيمن نزل، فيكون فيه رأي، وإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا.

قال: فزبره[٢] عمر وانتهره، فانصرف ابن عباس، فنظر عمر فيما قال فعرفه فأرسل إليه، وقال: أعد عليَّ ما قلت، قال: فأعاده عليه فعرف عمر قوله، وعلم أنَّه الحق فأعجبه ذلك القول.

مقام حرقة بنت النعمان[٣] بين يدي سعد بن أبي وقاص[٤]

قيل: لما ولّاه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، على العراق، فلما قدم القادسية أتته حرقة بنت النعمان بن المنذر في جوارٍ لها، كلهن في زيها تطلب صلته. فلما وقفت بين يديه، قال لهن: أيتكن حرقة بنت النعمان؟

= (١٤٧٩)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (١٨٩)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٨، ٣٩)، من طريق إسماعيل عباس عن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي حسين، عن شهر بن حوشب، عن معاذ بن جبل مرفوعًا: «مِفتاحُ الجنة لا إلٰه إلا الله» قلت: وهو حديث سنده ضعيف للانقطاع بين شهر ومعاذ. قال الحافظ الضياء فيما نقله أبو زرعة العراقي في «تحفة التحصيل» (١٤٩)، وقال البزار: شهر لم يسمع من معاذ حديثًا. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦) وقال: رواه أحمد والبزار، وفيه انقطاع بين شهر ومعاذ، وإسماعيل بن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة، وهذا منها. وقال في موضع آخر (١٠/ ٨٢): رواه أحمد ورجاله وثقوا إلا أن شهرًا لم يسمع من معاذ.

(١) هو أبو العباس ترجمان القرآن، من دعى له الرسول بأن يفقهه الله في الدين، ويعلمه الحكمة والتأويل. وانظر: الثقات (٣/ ٢٠٧)، حلية الأولياء (١/ ٣١٤)، والرياض المستطابة (١٩٨)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٦)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٤٠)، وأسد الغابة (٣٠٣٧).

(٢) يعني: نهاه ومنعه.

(٣) هي هند بنت النعمان بن المنذر بن امرىء القيس اللخمية، كانت تمتاز ببلاغة وفصاحة في شعرها. وانظر: الأغاني (٢/ ٥٧).

(٤) هو سعد بن أبي وقاص، سابع سبعة في الإسلام أسلم بعد سنة، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وكان حجاب الدعوة مشهورًا بذلك، وانظر: الاستيعاب (٩٦٨)، وأسد الغابة (٢٠٥١)، والإصابة (٣٧٦٣)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٨٣)، وحلية الأولياء (١/ ٩٢).

قلن: ها هي هذه.

قال سعد: أنت حرقة؟ أنت حرقة؟

قالت: نعم يا سعد.

فما تكرارك في استفهامي؟ إنَّ الدنيا دار زوال، وأنَّها لا تبقى على حال، تنقل بأهلها انتقالًا، وتعقبهم من بعد حالٍ حالًا. إنَّا كنا ملوك هذا المصر قبلك، يجيء إلينا خراجه ويطيعنا أهله، فلما أدبر الأمر، صاح بنا صائح الدهر، فصدع عصانا، وشتت شملنا وملانا، كذلك الدهر يا سعد، إنَّه ليس من قوم أتوا إلّا والدهر معقبهم عبرة.

وأنشأت تقول:

فبينا نَسُوسُ النَّاس والأمرُ أمرنا إذا نحنُ فيهمْ سوقة نُتَنَصَّفُ
فَأُفٍ لدنيا لا يدومُ نعيمُهَا تَقَلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ

قال سعد: قاتل الله عدي بن زيد، كأنَّما ينظر إليها حيث يقول:

إنَّ للدهر صولة فاحذَرَنْها لا تبيتن قد أَمِنْتَ الدهورا
قد يبين الفتى معافًا فيؤذى بعدما كان آمنًا مسرورا

وأكرمها سعد وأحسن جائزتها، فلما أرادت فراقه، قالت: أُحييك بما يحي أملاكنا بعضها بعضًا:

لا جعل الله لك إلى لئيم حاجة، ولا نزع من عبد صالح نعمة، إلَّا جعلك سببًا لردها.

وخرجت من عنده فلقيها نساء المدينة فقلن لها: ما فعل الأمير بك قالت:

حاط لي ذمتي وأكرم وجهي إنَّما يكرم الكريم الكريما

وهذه ابنة النعمان بن المنذر بن ماء السماء، وهو النعمان الأصغر، قتله كسرى أنو شروان قبل مبعث النبيّ، صلّى الله عليه وسلم، في ولايته[١].

(١) انظر: سراج الملوك (ص ٢٩)، والمحاسن والمساوىء (ص ٣٨٨)، وشرح شواهد المغني (٢/ ٧٢٣).

مقام مروان بن الحكم[(١)] بين يدي أمير المؤمنين عثمان بن عفان

روى أفلح بن حُميد عن أبيه، قال: لما أراد عثمان، رضي الله عنه، هدم المسجد أراد أن يتكلم بذلك على المنبر فقال له مروان: فداك أبي وأمي، هذا أمر حسن لو فعلته ولم تذكره.

قال: ويحك، إني أكره أن يروى عني أني استبددت دونهم بأمر.

فقال مروان: أما رأيت عمر حين بناه وزاد فيه وما ذكر ذلك لهم.

فقال: اسكت، فإنَّ عمر اشتد عليهم فخافوه حتى لو أدخلهم جحر ضب لدخلوه، وإني لنت لهم، لقد أصبحت أخشاهم على نفسي.

قال مروان: فداك أبي وأمي، لا يسمع هذا منك أحد فيجترئوا عليك.

قال: ويحك إني رأيت في المنام آتيًا أتاني، وقال: وسِّع مسجد نبيك، يبني الله لك بيتًا في الجنة، وقال رسول الله، صلَّى الله عليه وسلم، إنَّ الله يقول: «مَن بنى مسجدًا في الدنيا بنيت له بيتًا في الجنة»[(٢)].

فصلَّى عثمان بالناس، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيُّها الناس إنَّ مسجدكم قد ضاق على الناس، وقد رأيت البارحة كأنَّ آتيًا أتاني فقال: ابن مسجد نبيّ الله يبني الله لك بيتًا في الجنة، فأنا أبنيه من مال، وأُنفق عليه عشرة آلاف درهم. حيث وافق على ذلك الناس.

---

(١) الخليفة الأموي أبو عبد الملك، ابن عم عثمان بن عفان، وعمل كاتبًا له، وكذلك استعمله معاوية بن أبي سفيان على المدينة ومكة والطائف، تُوفي سنة ٦٥ هـ. وانظر: تاريخ الطبري (٥/ ٦١٠)، وطبقات خليفة (١٩٨٤)، وابن سعد (٥/ ٣٥)، والتاريخ الكبير (٧/ ٣٦٨)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٩١).

(٢) حديث صحيح: رواه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣)، وأحمد في «المسند» (١/ ٦١، ٧٠)، والترمذي (٣١٨)، وابن ماجة (٧٣٦)، وأحمد (١/ ٦١، ٧٠)، والدارمي (١/ ٣٢٣)، وأبو عوانة (١/ ٣٩٠، ٣٩١)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٤٨٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٦١)، والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٤٣٧)، وابن حبان (١٦٠٩)، عن عثمان مرفوعًا. ورواه أحمد (١/ ٢٠، ٥٣)، وابن ماجة (٧٣٥)، وابن أبي شيبة في «المصنَّف» (١/ ٣١٠)، عن عمر مرفوعًا.

مقام حذيفة بن اليمان[1] بين يدي عثمان بن عفان

حدث معمر بن محمد عن الزهري عن أنس بن مالك، قال: قدم حذيفة بن اليمان يومًا على عثمان بن عفان، رضي الله عنه، في أيام خلافته، وكان نفر من أهل العراق يتنازعون في القرآن، حتى يسمع حذيفة بن اليمان خلافهم، فأذعره ذلك، فركب حتى قدم على عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في القرآن الكريم اختلافهم في غيره، كما اختلفت اليهود والنصارى في الكتاب، ففزع لذلك عثمان، وأرسل إلى الصحف التي جمع فيها القرآن، فأرسلت إليه حفصة بنت عمر، رضي الله عنهما، فأمر عثمان بذلك زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن الزبير، أن ينسخوها في المصاحف، وقال لهم: إذا اختلفتم في عربية منه فاكتبوه بلسان قريش، فإنَّ القرآن نزل بلسان القوم، فاختلفوا في التابوت فقال القريشيون: «التابوت» وقال زيد بن ثابت: «التابوه». فرفعوا ذلك إلى عثمان، فقال: اكتبوه: «التابوت» كما نزل بلسان قريش، ففعلوا ذلك وكتبوه في المصاحف، ثم أمر عثمان، رضي الله عنه [أن يجعل] في كل أرض مصحف، وأمر أن يحرقوا كل مصحف ما خلا المصحف الذي أرسله إليهم عثمان، رضي الله عنه، وأمر بالمصحف الذي أخذه من حفصة، رضي الله عنها أن يرد عليها[2].

مقام أسقف نجران بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أيام خلافته وعظته له

دخل أسقف نجران بعدما أسلم على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه الرضوان، فقال له: عظني وأوجز.

فقال: يا أمير المؤمنين أوليس الكتاب عليكم نزل، وعنكم أُخذ؟

قال: بلى، ولكن أُحب أن أسمع من غيري.

قال الأسقف: إذا كان الله معك فمن تخاف؟

قال: أحسنت. زدني.

---

(١) هو أبو عبد الله حذيفة بن اليمان ـ واليمان اسمه: حُسيل بن جابر ـ وهو لقب. شهد هو وأبوه وأخوه صفوان أُحُدًا، وتُوفي سنة ٣٦ هـ بعد قتل عثمان في أول خلافة الإمام عليّ.

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم (ص ٢٧).

قال: إذا كان الله عليك فمن ترجو؟

قال: أحسنت. زدني.

قال: هب أنَّ الله تعالى عفا عن المذنبين، أليس قد حرموا ثواب الصالحين؟

قال: فبكى أمير المؤمنين علي، عليه السلام، وجعل يكرر هذه الكلمة أربعين يومًا.

مقام رجلين من علماء اليهود بين يدي خليفة رسول الله أبي بكر (رضي الله عنه)

روى علي بن إسحٰق عن محمد بن مروان عن ابن الكلبي عن عكرمة عن ابن عباس قال: قدم يهوديان المدينة بعد وفاة النبيّ، عليه الصلاة والسلام، بشهرين فسألا عن الخليفة بعد رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، فدُلا على أبي بكر، رضي الله عنه، فأتياه، فقالا:

إنّا وجدنا صفة محمد، صلّى الله عليه وسلم، في التوراة، فجئنا لنسلم على يده.

فقال أبو بكر، رضي الله عنه: قد مات منذ شهرين، فما حاجتكما؟

فقالا: نريد أن نسألك عن أشياء ثلاثة، فإن أخبرتنا بها آمنا وصدقنا.

فقال أبو بكر، رضي الله عنه: سلا عما شئتما.

قالا: أخبرنا ما الذي فرّق بين الحُب والبغض ومعدنهما في القلب واحد؟

وما الذي فرّق بين الحفظ والنسيان ومعدنهما في القلب واحد؟

وما الذي فرّق بين الأحلام الصادقة والأحلام الكاذبة؟

قال: فأطرق أبو بكر ساعة عاضًا على إبهامه ثم قال: الله ورسوله أعلم ائتيا عمر بن الخطاب فإنّه سيخبركما، إن شاء الله تعالى.

فأتيا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فسألاه، قال: الله ورسوله أعلم، ائتيا علي بن أبي طالب، فاسألاه فإنه سيخبركما إن شاء الله.

قالا: أين هو؟

قال: هو في سفح الجبل يثير أرضًا له، فأتياه ثم سألاه.

فقال: أخبرني رسول الله صلّى الله عليه وسلم، قال: أخبرني جبريل، عليه السلام، أنَّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

فالحب والبغض من هٰهنا نشأ.

قالا: صدقت والذي أنزل التوراة [على موسى] بن عمران.

قال علي، رضي الله عنه: وأمّا الحفظ والنسيان، فإن رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، أخبرني عن جبريل، عليه السلام، أنَّ الله تعالى، لما خلق آدم، عليه السلام، جعل له قلبًا، وجعل لقلبه غاشية تنفتح وتنطبق، فما مرّ بالقلب والغاشية منطبقة، فذلك الذي لا يعيه ابن آدم، ولا يحفظه.

قالا: صدقت والذي أنزل التوراة على موسى بن عمران.

قال علي، رضي الله عنه، وأمّا الذي بين الأحلام الصادقة والكاذبة، أخبرني رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، أنَّ جبريل، عليه السلام، أخبره أنَّ ابن آدم إذا نام عرج بروحه إلى السماء، فيرى هناك ما يرى وهو الحق، فإذا ردت تلقتها الشياطين فلبّست عليها، فما كان منها الصادقة فهي من السماء، وما كان من الأرض فهي الكاذبة من الشياطين.

قالا: صدقت والذي أنزل التوراة على موسى بن عمران، ونحن نشهد أن لا إلٰه إلّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، صلّى الله عليه وسلم.

فقال أمير المؤمنين، علي، عليه السلام، الحمد لله الذي هداكما والله ولي التوفيق.

مقام عبد الله بن عباس عند أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب

قال ابن عباس، رضي الله عنه، لعليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، يا أمير المؤمنين اجعلني [السفين][1] بينك وبين معاوية، فوالله لأفتلن له حبلًا ينتشر طرفاه ولا ينقطع وسطه، فقال [له علي] إني أساطيرك ولا من أساطير معاوية في شيء، والله لا كان له عندي إلّا السيف.

(١) ما بين [ ] ورد بلفظ (السفيه) وما أُثبت هو الموافق للسياق كما في «العقد الفريد» (٤/ ٣٤٦).

فلما كان من أمر الحكمين ما كان، قال علي، عليه السلام: لله در ابن عباس لكأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق. إنَّه ألمعي هذه الأمة في نظرته ورأيه السديد.

مقام بعض القصاص

كان قاصٌّ يقصّ في المسجد، فمر علي بن أبي طالب، عليه السلام، بسوق الكوفة ومعه الدرة، وهو يقول:

يا معشر الخلق خذوا الحق وأعطوا الحق [تسلموا]. ولا تردوا قليل الربح تحرموا كثيره.

ما منع أحد من حق إلَّا ذهب في الباطل أضعافه.

حتى انتهى القاصّ.

فوقف عليه وقال: أيُّها القاص أتقص ونحن قريبو العهد برسول الله، صلّى الله عليه وسلم، أما أني أسألك فإن أجبت عما أقول لك وإلَّا أدبتك.

فقال: سَل يا أمير المؤمنين، فقال له: ما ثبات الإيمان وما زواله؟

فقال القاصّ: ثبات الإيمان الورع، وزواله الطمع.

فقال له علي، رضي الله عنه: قصّ فمثلك مَن قصّ على الناس [والله سبحانه وتعالى أعلم].

مقام ابن الكواء[1]
بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

روى عبد الرزاق عن معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل، قال: شهدت عليًا، عليه السلام، وهو يخطب ويقول:

سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلَّا حدثتكم به، سلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله ما من آية إلَّا وأنا أعلم بليل نزلت، أو نهار، في سهل نزلت، أو جبل، فقام ابن الكواء إليه وأنا بينه وبين أمير المؤمنين، كرّم الله وجهه، وهو خلفي.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني ما ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾ إلى ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾ [الذاريات: الآيات ١ ـ ٤]؟

(١) هو الناسب عبد الله بن عمرو اليشكري، وانظر: المعارف لابن قتيبة (ص ٥٣٥).

فقال علي، عليه السلام، سل تفهمًا ولا تسأل تعنتًا.

الذاريات ذروًا الرياح، والحاملات وقرًا السحاب، والجاريات يسرًا السفن [والمقسمات أمرًا الملائكة][1].

قال: أفرأيت الذي في القمر من السواد ما هو؟

قال: أعمى سأل عن عمى، أما سمعت أنَّ الله، عزّ وجلّ، يقول:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: الآية ١٢]. فذلك محوه السواد الذي فيه.

قال: أفرأيت ذا القرنين، أنبيًا كان أم ملكًا؟

قال: لا ولكنه كان عبدًا صالحًا، أحب الله فأحبه، وناصح لله ثم ناصحه، ودعا قومه إلى الهدى فضربوه على قرنه الآخر، ولم يكن له قرن كقرن الثور.

قال: أفرأيت هذه القوس ما هي؟

قال: علامة كانت بين نوح وبين قومه، وأمان من الغرق.

قال: أفرأيت البيت المعمور وما هو؟

قال: ذلك الصرح في سبع سمٰوات تحت العرش، يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون فيه إلى يوم القيامة.

قال: فمن الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار؟

قال: الأفجران من قريش بنو فلان وبنو فلان نسبهم يوم بدر.

قال: فمن ذا الذي ضل سعيه في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعًا؟

قال: كان أهل خزاعة، فيهم نزل هذا.

مقام كعب الأحبار بين يدي أمير المؤمنين علىّ بن أبي طالب (عليه السلام)

قال بعض الرواة: اجتمع نفر من الصحابة على باب عثمان بن عفان، رضي الله عنه، في أيام خلافته، فقال كعب الأحبار: وددت أن أعلم [أحد] أصحاب محمد،

(١) ما بين [ ] زيادة من الأغاني (١٣/٣٠٨).

صلّى الله عليه وسلم، الساعة عندي، لأسأله عن أشياء ما أعلم أنَّ أحدًا على وجه الأرض يعرفهن، ما خلا رجلًا، أو رجلين إذ طلع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام.

قال: فتبسم القوم.

فقال عليّ، كرّم الله وجهه: لأي شيء تبسمتم؟

فقالوا: لغير ريبة، ولا بأس يا أبا الحسن إلّا أنَّ كعبًا تمنى أُمنية فعجبنا من سرعة إجابة الله، عزّ وجلّ، له.

قال: وما ذلك؟

قالوا: تمنى أن يكون عنده أعلم أصحاب رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، فيسأله عن أشياء ما يعلم أحد بشرحها إلّا رجل، أو رجلين.

قال: فجلس علي، كرّم الله وجهه، ثم قال: هات يا كعب الأحبار مسائلك.

فقال: يا أبا الحسن، أخبرني عن شجرة اهتزت على وجه الأرض؟

فقال له علي، كرّم الله وجهه: في قولنا أم في قولكم؟

قال: في قولنا وقولكم.

فقال علي: تزعم أنت يا كعب وأصحابك، أنَّها الشجرة التي شق منها لوح السفينة.

قال كعب: كذلك تقول يا علي.

قال عليّ: كذبتم يا كعب، ولكنها النخلة التي أهبطها الله تعالى على آدم، عليه السلام، من الجنة فاستظل بظلها، وأكل من ثمرها.

هات يا كعب الأحبار.

قال: يا أبا الحسن أخبرني عن أول عين نبعت على وجه الأرض؟

فقال عليّ، عليه السلام: على قولنا أم على قولكم؟

قال: على كلا القولين.

فقال علي، عليه السلام: تزعم أنت يا كعب وأصحابك أنَّها العين التي عليها صخرة بيت المقدس.

قال كعب: كذلك تقول.

قال عليّ: كذبتم يا كعب، ولكنها عين الحياة التي شرب منها الخضر، عليه السلام، في الدنيا.

هات يا كعب.

فقال: يا أبا الحسن أخبرني عمن لا أب له ولا أم، وعمن له أُم ولا أب له، وعن من لا عشيرة له، وعن مسجد لا قبلة له؟

قال عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه:

أمّا مَن لا أب له، ولا أُم، فآدم، عليه السلام، خلقه الله من تراب.

وأمّا مَن لا أب له، وله أُم، فعيسى، عليه السلام.

وأمّا مَن لا عشيرة له، ولا قبيلة، فآدم أبو البشر.

وأما المسجد الذي لا قبلة له، فالبيت الحرام، وهو قبلة، ولا قبلة له.

هات يا كعب.

قال: يا أبا الحسن ثلاثة أشياء أُحب أن تخبرني عنها لم تركض في رحم ولم تخرج من بدن؟

فقال عليّ، كرّم الله وجهه: عصا موسى، وناقة صالح، وكبش إبراهيم الخليل.

هات يا كعب.

قال: يا أبا الحسن أخبرني عن خصلة قد بقيت إن أخبرتني بها فأنت الفائق الراتق.

قال: هاتها يا كعب.

قال: أخبرني عن قبر سار بصاحبه.

فقال: ذلك يونس بن متى إذ سجنه الله تعالى في بطن الحوت، وسار به في البحر حتى قذفه ببلد نينوى.

مقام عبد الله بن عباس بين يدي معاوية بن أبي سفيان

قال معاوية ذات يوم وعنده عبد الله بن عباس.

أمّا أنّ نبيّ الله، صلّى الله عليه وسلم، لم تخلق الدنيا له، ولم يخلق لها.

وأمّا أبو بكر فلم يردها ولم ترده.

وأمّا عمر فأرادته ولم يردها.

وأمّا عثمان فنالت منه ونال منها.

وأمّا أنا فإنها مالت بي وملت بها، وتلطمت في أمواجها، فأيُّ أمر تعلمون غدًا إذا لم يكن المصير إلّا إلى النار.

فما تقول يا ابن عباس؟

قال: أقول خيرًا، إذا أردت الدنيا فقد أمكنتك من قيادها، وصار في يديك ضرعها، فإن أردت الآخرة فهي لك ممكنة، وفي يديك أسبابها. فإن أردت الدنيا فارتضع.

وإن أردت الآخرة فارتدع، واعلم أنَّ ما زادك في الآخرة ونقصك من الدنيا خير لك مما زادك في الدنيا ونقصك من الآخرة، فلا يسرنك من الدنيا سار، ولا يغرنك عن الآخرة غار.

فلعمري لقد حلبت الدهر أشطره، وشربت صفوه، ورعيت عفوه، فانظر أي أمر يكون غدًا، إن لم يكن المصير إلّا إلى النار فاحذر الآخرة.

مقام عمرو بن العاص[1] بين يدي معاوية

روى محمد بن عبد الله الأموي عن أبي سعيد الأصمعي، أنَّ عمرو بن العاص قال لمعاوية بن أبي سفيان: لا يكن شيء من أُمور رعيتك أشد تفقدًا كخصاصة الكريم الجائع، واللئيم الشبعان، فإنَّ الكريم يصول إذا جاع، واللئيم يصول إذا شبع.

مقام سعيد بن العاص بين يدي معاوية

قال معاوية لسعيد بن العاص:

ما أعجب الأشياء؟

---

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل بن هصيص بن كعب بن لُؤي القرشي السّهمي، وانظر: طبقات ابن سعد (٤/ ٢٥٤)، (٧/ ٤٩٣)، المعارف (٢٨٥)، تاريخ الطبري (٤/ ٥٥٨)، تاريخ البخاري (٦/ ٣٠٣)، أسد الغابة (٣٩٧١)، الإصابة (٥٨٩٧)، وتهذيب التهذيب (٣/ ١٠١).

قال: حظّ الجاهل، وكف العاقل، وأنشد لأمير المؤمنين:

كم قوي قوي [الفضل مبتهج] مهذب اللب عنه الرزق منحرف

ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط كأنه من خليج البحر يغترف

فقال له معاوية: صدقت، أنت سعيد بن العاص.

فقال: أمير المؤمنين السعيد، وأنا عبده ابن العاص، فعجب من حسن أدبه[(١)].

مقام سعد بن أبي وقاص بين يدي معاوية

قال سعد بن أبي وقاص لمعاوية:

يا معاوية لِمَ قاتلت عليًا، عليه السلام، وهو أحق بالأمر منك؟

قال معاوية: وهو أحق بالأمر مني؟

قال: نعم.

قال: من أين علمت ذلك يا سعد؟

قال: لأن رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، قال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي»[(٢)].

وقال صلّى الله عليه وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[(٣)].

قال معاوية: الأمر كما قلت يا سعد، ما كنت [في عيني] أصغر منك الآن.

قال سعد: لِمَ.

قال: لتركك نصرته وقعودك عنه، وقد علمت هذا منه.

قال: صدقت.

(١) انظر هذه الحكاية في «العقد الفريد» (٤/ ٢١، ٣٦٦).

(٢) رواه البخاري (٥٠٨١)، وأحمد (١/ ١٧٠، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٨٤، ١١٨، ١١٩) والترمذي (٣٧٩٧)، وابن ماجة (١/ ٤٥).

مقام أبي مسلم الخولاني[(١)] بين يدي معاوية

روى عبد الله بن عروة قال: قعد معاوية للعطاء فقام إليه أبو مسلم الخولاني فقال له: يا معاوية ليس من كدك، ولا من كد أُمك، ولا من كد أبيك.

قال عبد الله: فما رؤي معاوية امتلأ غيظًا إلا يومئذ، فلم يعط شيئًا، وقام عن مجلسه وقال لأصحابه كما أنتم، ثم غاب ساعة وخرج عليهم، وقال: إنَّ أبا مسلم الخولاني تكلم بكلام أغضبني، فإني سمعت رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، يقول: «الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما يطفى النار الماء، فإذا غضب أحدكم فليغتسل».

ثم إني دخلت واغتسلت، وصدق أبو مسلم أنَّه ليس من كدي، ولا من كد أبي، فهلموا إلى عطاياكم معشر الناس.

مقام الحسن بن علي[(٢)] ـ عليه السلام ـ عند معاوية

قال ابن الكلبي هشام: سأل معاوية الحسن بن علي عليهما الرضوان:

أيُّ الأشياء أمتع؟

قال: الصحة مع الأمن.

ثم قال: وأيُّ طعام أطيب؟

قال: طعام طيب من كف نقية، مع جليس ممتع ملقِ الحشمة، تناقله الحديث ويناقلك.

قال: صدقت.

---

(١) هو أبو مسلم عبد الله بن ثوب الخولاني اليمني، الشيخ الفقيه الولي الزاهد، أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبيّ صلّى الله عليه وسلم، توفي سنة ٤٤ هـ، وقيل: غير ذلك. وانظر: الزهد لابن المبارك (١٥٨)، وتاريخ الطبري (٤/ ٣٥٢)، وطبقات ابن سعد (٧/٤٤٨)، وطبقات خليفة (٣٠٧)، والتاريخ الكبير للبخاري (٥/٥٨)، والمعارف لابن قتيبة (٤٣٩)، وعيون الأخبار (٢/ ١١٧)، تذكرة الحفاظ (١/٤٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/٧)، والكاشف (٣/ ٣٣٣)، طبقات الحفاظ (ص ١٣)، أسد الغابة (٦٢٥٤)، والإصابة (١٠٦٠٧).

(٢) هو سيدنا الإمام سبط المصطفى عليه السلام، وابن سيدة العالمين ـ فاطمة الزهراء ـ وابن الإمام الهمام علي عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام. وانظر: البداية والنهاية (٦/ ٢٤٥).

مقام زياد بن عبيد[1] بين يدي معاوية

قال أبو نجدة الحوطي: قال معاوية لزياد: أنا أسوس أم أنت؟

فقال زياد: أمير المؤمنين أسوس مني.

قال معاوية: أقسمت عليك إلَّا قلت ما عندك من الحق في ذلك.

فقال: بل أنا أسوس.

فقال معاوية: وَلِمَ يا زياد؟

قال: لأني أقمت الناس بعد جَنَفٍ، وكففتهم بما يعرف وبما لا يعرف، فأذعن المعاند للحق هيبة، وخضع الأصيد رهبة.

فقال معاوية: لله درك يا أبا المغيرة، بِم صيرتهم إلى ما أسمعك تصف؟

قال: بالمرهفات القواضب، أمضيها بالعزة في بيعة الحزم.

قال: فأخذ معاوية قلنسوته عن رأسه فضرب بها على مرفقة له ثم قال: أنا ابن هند لكن والله يا زياد ضبطت ملكي بالحلم والرفق والتأني ورفع السيف والسوط والتحية إلى إنعامي بأداء حقوقهم، فسلمت لي الصدور عفوًا، وانقادت لي النفوس طوعًا، أتجعل يا زياد رجلًا ضبط الناس بسيفه وسوطه حتى أعطوه المقادة والطاعة كرهًا، كرجل أعطوه المقادة بلا سيف ولا سوط قال زياد: أنت والله أسوس مني وأعلم بعواقب الأمور، وأعرف بوجه التدبير، جعلنا الله فداك.

مقام الحسن بن علي عند معاوية

قال أبو مخنف: سأل معاوية الحسن بن علي، عليهم السلام، عن الكرم والنجدة والمروءة.

فقال الحسن، عليه السلام.

أما الكرم: فالتبرع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال، والإطعام في زمن المحل.

---

(١) هو زياد بن أبي سفيان، ويُقال: زياد ابن أبيه، وزياد ابن أُمه، وقيل: زياد ابن سُمية؛ وكان يقال له قبل الاستلحاق: زياد بن عبيد الثقفي، مات سنة ٥٣ هـ. وانظر: التاريخ الكبير (٣/ ٣٥٧)، والصغير (١/ ١١٥)، وطبقات ابن سعد (٧/ ٩٩)، وطبقات خليفة (١٥١٦)، والمعارف (٣٤٦)، والوافي بالوفيات (١٥/ ١٠).

وأما النجدة: فالذب عن الجار، والصبر في مواطن الاضطرار، والإقدام على الكريهة.

وأما المروءة: فحفظ الرجل دينه، وإحرازه نفسه من الدنس، وقيامه لضيفه، وأداء الحقوق إلى مستحقها، وإفشاء السلام، والله أعلم(١).

مقام الأحنف بن قيس(٢) بين يدي معاوية

قال بعض الرواة: كان معاوية يقرب الأحنف بن قيس لكبره في قومه وفضله في نفسه وشجاعته إذا التحم الحرب، فلامه بنو أمية على ذلك، وقالوا: أما هو الفاعل كذا يوم كذا، والضارب بالسيف مع علي في وجوهنا، والمغير يوم كذا، حتى عدوا أيامًا كثيرة، فاشتط معاوية على الأحنف، وسألوه أن يبعد مجلسه إذا دخل عليه ويعذله على ما فعل، فلما دخل الأحنف على معاوية، قال: يا أحنف ألست الفاعل كذا يوم كذا؟ ألست الضارب بالسيف في وجوهنا مع علي بن أبي طالب؟ فبأي عين تنظر إلينا وبأي جرأة تدخل علينا، وتدنو منا.

قال: فتغير الأحنف وقال: يا معاوية إنَّ القلب الذي بغضناك به في صدورنا، والسيف الذي حاربناك به في جفنه وإن عدت عدنا، وقام مغضبًا ويده في قائم سيفه.

قال: فندم معاوية على صنعه، فقال: ما عليك بأس يا أبا بحر، لم أرد هذا وإنما أردت أن أذكر [لك] بعض ما مضى من غير بأس. وصاح يا غلام الخلع، قال: فخلع عليه ووصله بثلاثين ألف درهم، فقال الأحنف: والله يا معاوية ما رأيت أصبح منك وجهًا، ولا أفصح منك لسانًا، ولا أندى منك بنانًا، ولا أجرأ جنانًا، ولا أغزر نائلًا. قال: فضحك معاوية وقال: يا أبا بحر ما أسرع رضاك من غضبك.

فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان، وأنا أعوذ بالله أن أكون شيطانًا(٣).

---

(١) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (ص ٣٠٦).

(٢) هو الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري، سيد البصرة، وتميم، صاحب حلم ودهاء، وفصاحة فاقت البلغاء، شهد صفين مع الإمام علي ـ عليه السلام ـ وانظر: طبقات ابن سعد (٦٦/٧).

(٣) انظر هذه الحكاية في: العقد الفريد لابن عبد رَبِّه (٢٨/٤).

مقام عبد الله بن جعفر(١)

روى ابن زهير، أن عبد الله بن جعفر كان له من معاوية في كل عام ألف ألف درهم ومائة حاجة يختم له على أصل الأديم، ثم يقول: اكتب يا ابن جعفر ما بدا لك. حتى إذا فرغ من قضاء كل حاجة رفعها، وبقيت حاجة واحدة من الحوائج يقول: جعلتها لأهل الحجاز.

قال: فقدم الأصفهيد من سجستان على معاوية، وكان يطلب منه أن يملكه على سجستان، ويبذل لمن يقضي حاجته ألف ألف درهم، وعند معاوية وفد العراق، الأحنف بن قيس والمنذر بن الجارود ومالك بن مسمع وغيرهم، فأتاهم الأصفهيد وكلمهم في حاجته، وبذل لهم المال، فقال الأحنف بن قيس: ما نبرّك أن نعزّك من حاجتك، قال: لا. قال: فإنا لسنا بأصحابك ولكن ائت عبد الله بن جعفر فإن كان بقي من حوائجه شيء فاجعل حاجتك فيما بقي من حوائجه، فانطلق الأصفهيد حتى لقي عبد الله بن جعفر فذكر له حاجته، فقال عبد الله: كانت بقيت لي حاجة كنت جعلتها لأهل الحجاز، فأمّا إذا أهداك الله إليها فهي لك. قال: ثم إنَّ عبد الله بن جعفر دخل على معاوية يودعه فقال: يا أمير المؤمنين، قد كانت بقيت لي حاجة كنت جعلتها لأهل الحجاز فعرض لي فيها أصفهيد سجستان فأنا أسألك أن تجعل له ما سأل وطلب، فضحك معاوية وقال: إيه، إنَّه يعطي على حاجته ألف ألف درهم. فقال عبد الله: آخذ وإن تقضها له. فقال معاوية: قد قضيتها. يا سعد اكتب عهده على سجستان، قال: فكتب له عهده، فأخذه عبد الله بن جعفر والدهقان بالباب ينتظره، إذ خرج فدفع إليه عهده، فحمل الدهقان إلى أبي جعفر ألف ألف درهم، وسجد له، فقال عبد الله: أسجد لله شكرًا وأحمل الألف ألف درهم إلى رحلك فإنّا أهل البيت لا نبيع المعروف بالثمن. قال: فبلغ معاوية ذلك فقال: لأن يكون يزيد سبق إليها أحب إليّ من خَراج العراق والشام، أبت بنو هاشم إلّا كرمًا وشرفًا(٢).

---

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، ولدته أُمه أسماء بنت عُميس بأرض الحبشة، وهو أول مولود وُلد في الإسلام بأرض الحبشة، وقدم مع أبيه المدينة، وحفظ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وروى عنه. وتُوفي بالمدينة سنة ٨٠ هـ، وهو ابن تسعين سنة. وانظر: الثقات (٣/ ٢٠٧)، والأخبار الطوال (ص ١٨٤)، وتاريخ الطبري (١٠/ ٣٠٥)، والعقد الفريد (٧/ ١٢٥)، والولاة والقضاة (ص ٢١)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٦).

(٢) وانظر: المعارف (ص ٤١٩)، وربيع الأبرار (١/ ٨٣٢).

مقام عمرو بن العاص
ومولاه وردان بين يدي معاوية

قال معاوية لعمرو بن العاص: أي شيء أحب إليك أن تقتنيه؟

قال: عين خرارة في أرض خوارة.

وسأل معاوية وردان غلام عمرو بن العاص، فقال: أي شيء أحب إليك أن تقتنيه؟

قال: اكتساب المحامد والأفضال على الإخوان الأماجد.

قال معاوية: أنا أحق بك منها.

قال: قد ملكت فافعل.

فقال: أجل(١).

مقام الأحنف بن قيس [بين يدي معاوية](٢)

قال أبو مخنف: كان الأحنف بن قيس جالسًا عند معاوية فتكلم الناس كلهم وهو ساكت لا يتكلم، فقال له معاوية: ما منعك من الكلام يا أبا بحر.

قال: أخشى الله إن كذبت، وأخشاكم إن صدقت، والحزم الصمت(٣).

مقام آخر له

قال بعض الرواة: كان الأحنف بن قيس إذا دخل على معاوية يجلس في أخريات الناس، فعاتبه معاوية يومًا على ذلك.

فقال الأحنف: لأن أبعد فأقرّب أحب إليّ من أن أقرب فأبعد.

فقال معاوية: لله درّك يا ابن قيس بحق ما سدت(٤).

---

(١) انظر: مروج الذهب (٣/ ٢٣). (٢) زيادة لتمام السياق.

(٣) انظر هذه القصة في «العقد الفريد» (٤/ ٢٧)، والكامل في الأدب (١/ ٣٠) بنحوه وفيه زيادة على ما ذُكر.

(٤) انظر: عيون الأخبار (٣/ ١٨٨).

مقام أبي الدرداء[١] بين يدي معاوية

روى أبو حنش الزيادي أنَّ أبا الدرداء كان يدخل على معاوية فيقول: إنك ستصير أحدوثة فأحسن أحدوثتك.

فإنَّه قيل: إن الدنيا صحائف الذكر فانظروا ماذا تخلفوا في صحائفكم، فالسعيد الفائز بالشكر.

مقام أبي مسلم الخولاني بين يدي معاوية

روى مبشر بن إسماعيل قال: دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية فقال: السلام عليك أيها الأجير.

فقالوا له: يا أبا مسلم قل: يا أيها الأمير.

فقال معاوية: دعوا أبا مسلم، فإنه أعلم بما يقول منكم.

فقال أبو مسلم: وجدت مثلي ومثلكم مثل رجل كانت له ماشية واستأجر أجيرًا يرعاها وجعل له أجرة، إن أحسن رعايتها ووفر أصوافها وألبانها ولم يضيعها حتى تسمن العجفاء وتدرك الصغيرة، فإن فعل ذلك استحق أجرته، وزاده من فضله، وإن لم يحسن رعايتها، ولم يوفر أصوافها وألبانها، وضيعها حتى تهلك العجفاء، وتهزل السمينة، غضب عليه وحرمه الأجر، وعاقبه على التقصير.

وفي هذا المعنى يقول بعضهم على لسان الماشية [المذكورة يخاطب الراعي].

إن أنت لم تبق لي صوفًا ولا لبنًا ألقتني أعظمًا في فدفد قاع
أخذت رزقك من ربي لتحفظني فصرت لي سبعًا يا أيها الراعي[٢]

مقام الشعبي بين يدي عبد الملك بن مروان

حدث عبد الله بن قاسم عن عبد الملك بن مروان عن الشعبي قال: كنت عند عبد الملك بن مروان، فكتب إلى الحجاج: أن انظر لي رجلًا جامعًا لأمر الدين

---

(١) هو عويمر بن عامر بن مالك بن زيد بن قيس، وقيل: غير ذلك، كان آخر أهل داره إسلامًا، وحَسُن إسلامه، وكان فقيهًا عاقلًا حكيمًا، تُوفي سنة ٣٢ بدمشق في خلافة عثمان، وقيل: غير ذلك. وانظر: المعارف (ص ٢٦٨)، الاستيعاب (٢٩٧٠)، وأسد الغابة (٣/٣١٨)، الإصابة (٣/ ٤٥).

(٢) انظر هذا المقام بنحوه في: محاضرة الأبرار (ص ١٠٥).

والدنيا فاحمله إليّ ليؤدب ولدي، فكتب إليّ أن تجهز، فتجهزت، وحملني إليه، فلما وردت استأذنت عليه فأذن لي، فدخلت عليه وسلمت، وقمت بين يديه، فجعل يصعد فيّ نظره ويصوبه ثم يقول: تسمع بالمعيدي خير لك من أن. . .

ثم قال: يا شعبي إنك لضئيل.

قلت: أجل أصلح الله تعالى الأمير، إني زُوحمت في الرحم.

فقال عبد الملك: شعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده   فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وكائن ترى من صامت لك معجب   زيادته أو نقصه في التكلم

وكان إلى جانبه رجل لا أعرفه، فالتفت إليه عبد الملك وقال: يا أبا مالك، ما تقول في هذا الرجل؟ فلما قال: يا أبا مالك، عرفت أنه الأخطل.

فقال الأخطل: ومن هذا يا أمير المؤمنين؟

قال: رجل غالب على الدين والدنيا في الأمور، فأنشأ يقول:

لا تعجبن من امرىء بكلامه   حتى يكون مع الكلام أصيلا
إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنما   جعل اللسان على الفؤاد دليلا[1]

قال: فبعث عبد الملك إلى أصاغر ولده، فأتى به، فإذا غلام هو أقربهم إليه مجلسًا، وأعزهم عليه.

فقال: يا شعبي ما تقول في هذا الغلام؟

قلت: يا أمير المؤمنين هذا غلام حسن الوجه، سريع إلى الخير مستقبل التمام.

فقال: يا شعبي احفظ عني خصالًا شتى، أوصيك بهن، ثم شأنك والغلام، علمهم صدق الحديث كما تعلمهم القرآن الكريم، وعلمهم الشعر يمجدوا به وينجدوا، وأطعمهم اللحم تشتد عقولهم، وتصفو أذهانهم ورؤوسهم ورقابهم، وجنبهم مجالسة الحشم فإنها مفسدة المتبوع، وجالس بهم علية الناس، فإنهم خير الناس وذلك يوجب الشرف والسيادة[2].

(١) انظر: البيان والتبيين للجاحظ (١/ ٢٢٤).
(٢) انظر: ربيع الأبرار للزمخشري (١/ ٥٢٣)، ونصيحة الملوك للماوردي (ص ٣٠٩).

فقد قال بعضهم: شعر:

مَن عاشر الأشراف عاش مشرفًا ومعاشر الأنذال غير مشرف
أو ما ترى الجلد الخسيس مقبلًا بالثغر لما صار جار المصحف

قال الشعبي: فلما خلوت بالغلمان قلت لهم: يا غلمان إنَّ أباكم قد وصى فيكم بست خصال، وأنا أوصيكم أيضًا:

لا تقدموا على أمر تخافون أن تقصروا دونه، فإن العاقل يحجزه عن فضيلة المتقدمين ما يراه من فضائح المقصرين.

ولا تعدوا أحدًا وعدًا لا تقدرون على إنجازه، فإن العاقل يحجزه عن محمدة المواعيد ما يرى من المذمة في الأخلاق.

وأخذت في تأديبهم سنة كاملة.

قال: فاستحضرني عبد الملك وقال: ما فعل ولدي؟

قلت: يا أمير المؤمنين، أخذنا بأدبك ووصيتك، فما احتجنا إلى أدب غيره.

قال: فأحسن إلي صلتي وصرفني مكرَّمًا إلى الكوفة.

حكمة وموعظة

قال الحسن بن علي عليهما السلام: كم هالك بالثناء عليه، ومغرور بالستر عليه، ومستدرج بالإحسان إليه.

وقال أبو الحسن المدائني: سأل الخصيب أبا نؤاس عن نسبه، فقال: أيُّها الأمير أغناني أدبي عن نسبي، فأمسك الخصيب عنه.

وقال: صدق الحسن أغنى الأدب عن الحسب.

وقال أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، عليه السلام[1]: سبع خصال هن من طبائع الجهال:

الغضب من غير شيء،

والإعطاء في غير حق،

---

(١) انظر هذا الخبر في: نصيحة الملوك للماوردي (ص ٥٥٣) بنحوه.

وقلة المعرفة بالنفس،

وكثرة الكلام من غير نفع،

وأن لا يفرق الإنسان بين عدوه وصديقه،

ووضعه السرّ [في غير موضعه]،

وحُسْن الظن بمن ليس لذلك بأهل.

مقام الحسين عليه السلام بين يدي والده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

قال أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، عليه السلام، لأبي عبد الله الحسين، عليه الرضوان، ابنه وهو حينئذ غلام، قم يا ابن رسول الله واخطب لأسمع كلامك قبل موتي، فقام الحسين بن علي بن أبي طالب، عليهما السلام، فقال: الحمد لله الذي من تكلم سمع كلامه، ومن سكت علم ما في نفسه، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه معاده.

أما بعد، فإنَّ الموت غايتنا، والقيامة موعدنا، والله عارضنا، وأنَّ عليًا باب من دخله كان آمنًا، ومن خرج عنه كان كافرًا.

فقام إليه أمير المؤمنين عليه السلام، فالتزمه وقبّل ما بين عينيه وقال: بأبي أنت وأمي [يا ولدي] ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم.

تم كتاب مقامات العلماء بين يدي الخلفاء
والأمراء عليهم الرضوان
والحمد لله وحده

فهرس المحتويات